سلسلة طلاب العلوم



حلية البنات والبنين

وزينة الدنيا والدين

تأليف
العالم العلامة القاضي جمال الدين الشيخ الإمام
محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي
رحمه الله تعالى

دار الحاوي
للطباعة والنشر والتوزيع



سلسلة طلاب العلوم (١)

حِلْيَةُ البَنَاتِ وَالبَنِين

وَزِينَةُ الدُّنْيَا وَالدِّين

تأليف

العَالِمِ العَلَّامَةِ القَاضِي جَمَالِ الدِّينِ الشَّيْخِ الإِمَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بَحْرَقِ الحَضْرَمِيِّ الشَّافِعِيِّ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى



الطبعـة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بالتعـاون مـع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف: ٣٤٢٨٨٦ ـ ص. ب: ٥٩٢٠ ـ ١١٣ ـ تلكس: ٤٣٢١٨ ـ فاكس: ٨٦٠١٣٨ ـ ١ ـ ٩٦١

مَن يُرِدِ ٱللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالَمين، وصلَّى الله على سيِّدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعد: فإني جعلتُ هذا الكتابَ ثلاثةَ أقسامٍ:

القسمُ الأول ـ في الآدابِ الذِكْرِيَّةِ، والأحكامِ الفقهيةِ.. وقد ضمَّنتُه أبواباً جمة، وفيه عقيدةٌ مختصرة.

والقسمُ الثاني ـ في فضائلِ الأعمالِ المَرْضيةِ بالدلائلِ المرويةِ.. وقد اشتمل على جملةِ أبوابٍ.

والقسمُ الثالث ـ في السيرةِ النبويةِ، والأمورِ الأخرَويةِ.. وقد اشتمل على تراجِمَ كثيرةٍ. وباللهِ أستعينُ، وعليه أتوكلُ، وهو حسبي ونعمَ الوكيلُ، نعمَ المولىٰ ونعمَ النصيرُ.

القسم الأول

في الآداب الذكرية والأحكام الفقهية

وفيه عقيدةٌ مختصرة وها هي ذِه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين، وأَشهدُ أَنْ لا إلٰه إلاّ الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وابنُ أمتِه وكلمتُه.. ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وأَنَّ الجنةَ حقٌّ، وأنَّ النارَ حقٌّ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا رَيبَ فيها، وأَنَّ اللهَ يَبعث مَن في القبور. آمنتُ بالله وملائكتِه وكُتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخِرِ والقَدَر خيرِه وشرِّه، رضيتُ بالله ربّاً، وبالاسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولا، وتبرَّأْتُ من كلِّ دينٍ يُخالف دينَ الإسلام، ونَدِمتُ على كلِّ ذنبٍ فعلتُهُ. وأَسْتغفرُ اللهَ الذي لا إلٰه إلاّ هو الحيُّ القيوم وأتوب إليه، وصلى الله وسلَّمَ على سيِّدِنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آلهِ وصحبه أجمعين.

آدابُ الانتباه

يُستَحَبُّ إذَا قام المرءُ مِنَ النوم أن يقولَ: الحمدُ لله الذي أَحيانا بعدَ ما أَماتَنا وإليه النشور.. أصبحنا على فِطرةِ الإسلام، وعلى كلمةِ الإخلاصِ، وعلى دينِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وعلى ملةِ أبينا إبراهيمَ حنيفاً مُسْلِماً وما كان من المشركين. لا إلٰه إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَه، لَهُ المُلك ولَهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير.. سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلاّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم. ربِّ اغفر لي ذنوبي، وتُبْ عليَّ إنك أنت التوابُ الرحيم. ربنا آتِنا في الدُنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، وقِنا عذابَ النار.

آدابُ الخلاءِ

فإذا دَخل الخلاءَ قَدَّم رِجْلَه اليُسرىٰ وقال: بسم الله.. اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث[1]، فإذا خرج منه قدَّم رجلَه اليمنى وقال: غفرانَك. الحمد لله الذي أذهَبَ عني الأذىٰ وعافاني، وإذا كان في غيرِ بُنيان، حَرُمَ عليه استقبالُ القبلةِ واستدبارُها ببولٍ أو غائطٍ، ويُكرَه الكلامُ على

(١) أي من ذكور الشياطين وإناثها.

الخلاءِ، وأنْ لا يبولَ في ماءٍ راكدٍ، ومقاعدِ الناس، أي وفي طريقهم، ويُستحَبُّ أن يَستبرِىءَ من البولِ. وأن يَستنجِيَ بيسارِه.

بابٌ في كَيفيةِ الوضوء

فإذا أراد أن يتوضأَ غسل كفيه ثلاثاً وقال: بسم الله.. الحمد لله الذي جعل الماءَ طهوراً. وينوي بقلبه الطهارةَ للصلاة. ويُعيدُها عند غسلِ الوجهِ، ويَستحضِرُها إلى آخرِ الوُضوءِ، ثم يأخذُ غَرفةً بيدِه.. فيتمضمضُ ببعضِها، ثم يستنشقُ بباقيها، ثم يأخذُ غَرفةً ثانيةً كذلك. ثم غَرفةً ثالثةً كذلك. ثم يَغسِلُ وجهَهُ - (ثلاثَ مراتٍ)، ثم يَغسِلُ يَدَه اليمنى إلى المِرفَقَينِ - (ثلاثَ مراتٍ). ثم يَدَه اليسرى مثلَها. ثم يمسحُ رأسَه، ثم أُذُنَيْهِ، ثم يَغسِلُ رجلَه اليمنى إلى فوقَ الكعبِ - (ثلاثَ مراتٍ). ثم رِجلَه اليسرى مثلَها. ثم يقول: أَشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله، وحدَهُ لا شريكَ له، وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه. اللهم اجعلني من التوَّابين، واجعلني من المتطَهِّرين، واجعلني من عبادك الصالحين.

بابٌ في نواقضِ الوُضوءِ

مَنْ مَسَّ فَرجَهُ، أو فرجَ غيرِهِ من بني آدم.. ببطن الكفِّ أو الأصابع.. انتقض وُضُوؤُه. إلاَّ فرجَ البهيمةِ فإنه لا ينقُضُ. وكذا مَنْ خَرَجَ مِنْهُ بَوْلٌ أو غائطٌ، أو ريح، أو مَذْيٌ أو غيرُ ذلك انتقض وُضوؤُه. وكذا مَنْ زَالَ عقلُه بنومٍ، أو غيرِهِ انتقض وُضُوؤُه إلاَّ نومَ قاعدٍ مُمَكِّنٍ. وكذا ينتقضُ وُضوءُ المرأةِ إذا لَمِسَها ابنُ سبعِ سنينَ من غيرِ محارِمِها. وينتقضُ وضوءُ الرجُلِ إذا لمِسَتْه ابنةُ سبعِ سنينَ مِن غيرِ محارِمِهِ. ومَنِ انتقَضَ وُضوؤُه.. حَرُمَ عليه مَسُ المُصحَفِ وحملُه، وكذا يحرُم على الجنُب، والحائض، والنفساء، واللُبث في المسجد وقراءةُ شيءٍ من القرآن بقصد التلاوة، ويحرُم وطءُ الحائضِ والنفساءِ وصومُهما.

بابٌ في موجبِ الغُسلِ، وأحكام الحيضِ

ويجبُ غَسلُ جميعِ البدنِ على الواطِىءِ والمَوْطُوءِ.. ولو لم يُنزل! وعلى مَن احتلم إذا أَنزل، وعلى مَن طَهُرت من الحيضِ والنفاسِ. وأَقلُّ الحيضِ يومٌ وليلةٌ. وأكثرُه خمسةَ عَشَرَ يوماً، وغالِبُهُ سِتٌ أو سبعٌ، ويجبُ على المرأَةِ أن

تقضيَ ما وقعَ من الصَومِ في الحيضِ والنفاسِ، ولا تقضي الصلاةَ الواقعةَ فيهما.

بابٌ في السواكِ

يُستَحَبُّ السِواكُ قَبلَ الوُضوءِ وبعدَهُ. وقَبلَ الصلاةِ وقَبلَ القراءةِ للقران. وبَعد النوم. وفي السواكِ فوائدُ كثيرةٌ. ويُستَحبُّ أن يكونَ باليمينِ، ويُستَحَبُّ أن تكونَ اليمنى لِكلِّ ما يُحِبُّهُ الإنسانُ.. من الوُضوءِ والأَكْلِ والشُربِ وغيرِها، واليسرى لِكلِّ ما يُكرَه.. كالمُخاط والاستنجاءِ، ويُستَحَبُّ نتفُ الإبطِ، وحَلقُ العانةِ. وقَلْمُ الأظفارِ. وقَصُّ الشاربِ، وأن يكون ذلك في يومِ الخميسِ، أو يومِ الجُمُعَةِ، أَو يومِ الاثنينِ.

بابٌ في الآذان

إذا دخلَ وقتُ الصلاةِ، وأُذِّنَ لها، فيُستَحَبُّ إذا سَمِعَ الأَذانَ أن يقولَ مِثْلَ ما يقولُ إلاَّ إذا قال: (حيَّ على الصلاةِ، حيَّ على الفلاحِ)، فإن سامِعَه. يقولُ في جوابهِ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ باللهِ، فإذا فَرَغ المؤذنُ قال: اللهم ربَّ

هذه الدعوةِ التامةِ، والصلاةِ القائمةِ، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابْعَثْه مقاماً محموداً الذي وَعَدْتَه. . يا أرحَمَ الراحمين.

بابٌ في النوافلِ

ويُستَحَبُّ أن يُصلِّيَ رَكعتينِ قَبْلَ الصبحِ، وركعتين قَبلَ الظُهرِ، وركعتينِ بَعْدَها، وأَربَعاً قَبلَ العصرِ، وركعتين بَعدَ المَغرب، وركعتين بعدَ العِشاءِ. ومِنَ الوِتر ثلاثَ ركْعاتٍ، والضُحى أربعَ ركْعاتٍ. ويُستَحَبُّ أَنْ يقرأ في الركعةِ الأولى من سِنةِ الصبحِ: ﴿قل يا أيُّها الكافرون﴾، وفي الثانية: ﴿قل هو الله أحد﴾، وكذا في سُنةِ المغربِ، وركعتيِ الإحرام، وركعتي الطوافِ، وصلاةِ الاستخارةِ. ويُستَحَبُّ أن يقرأَ في الأُولى من الوِتر: ﴿سبِّح اسمَ ربِّك الأعلىٰ﴾، وفي الثانية: ﴿قل يا أيُّها الكافرون﴾، وفي الثالثة: ﴿قل هو الله أحد﴾، و ﴿قل أعوذ بربِّ الفلق﴾، و﴿قل أعوذ بربِّ الناسِ﴾.

بابٌ في صفةِ الصلاةِ

وإذا أراد الصلاةَ أَقام لها، واستقبلَ القبلةَ، وستَر العورةَ.

وعَورةُ الرجلِ والأَمَةِ ما بينَ السُّرَةِ والرُكبةِ، وعَورةُ الحُرَّةِ جميعُ بَدَنِها، إلاَّ الوَجهَ والكفينِ. ثم يقولُ: أُصَلِّي فَرْضَ الصبحِ ركعتينِ فرضاً لله.. اللهُ أكبرُ، ويَرفعُ يَديهِ عندَ التكبيرِ. ثم يضعُ يَده اليمنى على يدِهِ اليُسرى تحتَ صدرِه، ثم يقولُ: وَجَّهتُ وَجهي للذي فَطَرَ السمٰواتِ والأرضَ حَنِيفاً مُسلماً وما أنا مِن المُشركينَ. إن صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي لله ربِّ العالمين، لا شريكَ له، وبذلك أُمِرتُ، وأنا من المسلمين. ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، (بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم) إلى آخر الفاتحةِ، ثم يقرأُ سورةً أخرى، ثم يكبِّر ويركعُ، ويضعُ كفَّيْهِ على رُكبتَيهِ ويقول: سبحان ربي العظيم وبحمدِهِ - (ثلاث مراتٍ)، ثم يرفعُ رأسَه ويقول: سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه. فإذا اعتدل قائماً، قال: ربنا لك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ثم يُكبِّر ويَسجدُ، ويَبسط كفَّيهِ قُدَّامَ رُكبتَيهِ ويقولُ: سبحان ربيَ الأعلى وبحمدِهِ - (ثلاثاً)، ثم يكبرُ ويرفعُ رأسَه.. فإذا استوى جالساً، قال: ربِّ اغفِر لي، وارحمني، واهدِني، وارزقني، وعافني، ثم يسجدُ مثلَ السجدةِ الأولى، ثم يكبرُ ويقومُ فيُصَلِّي باقي صلاتِه مثلَ الركعةِ الأولى. ويُستَحَبُّ القنوتُ في الركعةِ الثانيةِ من الصُبحِ، وهو أن يقولَ بعدَ أن يعتدلَ من الركوع:

اللهم اهدِنا فيمَن هَدَيتَ. وعافِنا فيمَن عافَيتَ، وتولَّنا فيمَن تولَّيتَ، وبارِكْ لنا فيما أَعطَيتَ، وقِنا شرَّ ما قَضَيتَ، فإنك تَقضي ولا يُقْضَىٰ عليك، وإنه لا يَذِلُّ مَن والَيتَ، ولا يَعِزُّ مَن عادَيتَ، تبارَكتَ ربَّنا وتعالَيتَ، فَلَكَ الحمدُ على ما قضَيتَ، نَستغفرُكَ ونَتوبُ إليك، وصلّى اللهُ على النبيِّ محمدٍ وآلهِ وصحبِهِ وسلَّم، فإذا قَعَدَ في الثانيةِ قال: التحياتُ المباركاتُ الصلَواتُ الطيِّباتُ لِلّه، السلامُ عليك أيُّها النَبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، السلامُ علَينا وعلى عبادِ الله الصالِحين، أشهدُ أنّ لا إله إلاّ الله، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله، اللهم صَلِّ على سيِّدِنا محمدٍ، ثم يقومُ ويأتي بباقي صلاتِهِ إنْ كانتْ ثلاثيةً أو رُباعيةً، ولا يقرأُ سورةً [في الركعات] بعدَ التشهُّدِ الأولِ، ثم إذا أَتم الركعاتِ، جلس الجلوسَ الأخيرَ. مُتشهِّداً التشهدَ الأخيرَ. . وهو: التحياتُ المباركاتُ الصلواتُ الطيباتُ لِلّهِ، السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصَالحين، أَشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ الله، وأشهدُ أَنَّ محمداً رسولُ الله. اللهم صَلِّ على سيِّدِنا محمدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمدٍ. . كما صَلَّيتَ على سيِّدِنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيِّدِنا إبراهيمَ، وبارِكْ على سيِّدِنا محمدٍ وعلى آل سيِّدِنا محمدٍ كما باركتَ على سيِّدِنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدِنا

إبراهيمَ. . في العالمينَ إنك حميدٌ مَجيد.

اللهم اغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أَخَّرتُ، وما أَسرَرتُ وما أعلَنتُ، وما أسرفتُ وما أنتَ أعلمِ بهِ مني. . أنتَ المقدِّمُ، وأنت المؤخِّر. . لا إلٰه إلاّ أنتَ. ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخِرةِ حسنةً، وقِنا عذابَ النارِ.

اللهم إنّي أعوذُ بك من عذابِ القبرِ، ومن عذابِ النارِ، ومن فتنة المحيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ. . ثم يُسَلِّمُ يميناً وشمالاً قائلاً السلامُ عليكم ورحمةُ الله.

بابٌ فيما يُقالُ بعدَ الصلاةِ

وهو: اللهم أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تباركتَ وتعاليتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ، ويُكثِرُ مما ينفعُ في الدُنيا والدينِ [من الدعاء].

بابٌ في الدُعاءِ

وهو اللهم أَعِنَّا على ذكْرِكَ وشُكْرِك وحُسْنِ عبادتِك، اللهم اكْفِنا بحَلالِك عن حَرامِك، وبطاعتِك عن معصيتِك، وأَغْنِنا بفضلِك عمن سِواك، اللهم إنَّا نسألك الهُدىٰ والتُقىٰ

والعَفاف والغِنىٰ، اللهم اكْفِنا هَمَّ الدُنيا وعذابَ الآخِرةِ، اللهم أَحْسِنْ عاقبتَنا في الأُمورِ كلِّها، وأَجِرْنا مِن خِزي الدُنيا وعذابِ الآخِرة. اللهم إنَّكَ عَفُوٌّ كريمٌ، تُحبُّ العفْوَ فاعْفُ عنا، اللهم إنَّا نسأَلُك العفْوَ والعافِيةَ، والمعافاةَ الدائمةَ في الدِّين والدُنيا والآخِرة لنا ولوالدينا ولسائِر المسلمين، اللهم صلِّ وسلِّم على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

* * *

بابٌ في أذكارِ الصباحِ والمَساءِ

ويُستَحَبُّ أن يحافِظَ على هذه الأذكارِ صباحاً ومساءً، فإن فيها فضلاً عظيماً.. مِن ذلك أنْ يَغفِرَ اللهُ ذنوبَهُ، وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ، وتوجَبَ له الجنةُ، ولا تمسَّهُ النارُ، ولا يَضُرَّهُ شيءٌ، ولا حيةٌ ولا عقربٌ، ويُرضِيَهُ اللهُ يومَ القيامةِ، ويُتِمَّ عليه نعمَتَهُ، ويُعتِقَهُ الله من النار، ويَكتُبَ له جوازاً منها، ويَكْفِيَهُ الله ما أَهمَّهُ من أمر الدُنيا والآخِرة، ولا يُصِيبَهُ في نفسِهِ ولا أهلِهِ ولا مالِه شيءٌ يَكْرهُهُ، ويَنْظُرَ اللهُ إِليهِ كلَّ يومٍ سبعينَ نظرةً، ويَقْضِيَ اللهُ لَهُ كلَّ يومٍ سبعينَ حاجةً.. أهونُها المغفرةُ، ويَنصُرَه الله على مَن عاداه، ويُيَسِّرَ رِزقَهُ ويَعيشَ سعيداً، ويَموتَ حميداً.

وهي أن يقول: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسْمِهِ شيء، في الأرضِ ولا في السماءِ، وهو السميعُ العليم ـ (ثلاثَ مراتٍ)، أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ من شرِّ ما خَلَقَ ـ (ثلاثَ مراتٍ)، أستغفرُ اللهَ الذي لا إلٰه إلاَّ هو الحيُّ القيومُ وأَتوبُ إلَيه ـ (ثلاثَ مراتٍ)، سبحان اللهِ وبحمدِهِ عددَ خلقِه، ورضا نفسِه، وزنةَ عرشِه، ومدادَ كلماتِه ـ (ثلاثَ مراتٍ)، رَضِيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام دِيناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً ـ (ثلاثَ مرات)، اللهم إِني أصبحتُ منك في نِعمةٍ وعافيةٍ وسِترٍ،

فأتمَّ نعمتَكَ عَليَّ وعافيتَك وسترَك في الدُنيا والآخِرةِ ـ (ثلاثَ مراتٍ)، اللهم إِني أصبحتُ أُشهدُك، وأُشهِدُ حملةَ عَرْشِك وملائِكَتَكَ وجميعَ خلقك أنَّك أنتَ اللهُ لا إلٰه إلاّ أنتَ وحدَك لا شَريكَ لك، وأنَّ محمداً عبدُك ورَسُولُك ـ (أربعَ مراتٍ)، اللهم أَجِرني من النَارِ ـ (سَبْعاً)، حَسبِيَ اللهُ لا إلٰه إلاَّ هو عليهُ توكلتُ، وهو ربُّ العرشِ العظيم ـ (سبع مراتٍ)، بسمِ اللهِ على نَفسِي، بسم اللهِ على دِيني، بسمِ اللهِ على أهلي، بسم اللهِ على مالي، بسمِ الله على كلِّ شيءٍ أعطانِيه رَبي.. تحصَّنتُ بالحيِّ القيومِ الذي لا يموت أبداً، ودَفَعْنا السُوءَ عَنَّا بِلا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمَ ـ (مرةً)، اللهم أَنتَ ربي لا إله إلاّ أنتَ، عليك توكلتُ وأنت ربُّ العرشِ العظيم، ما شاءَ الله كانَ وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ. أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللهَ قد أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ عِلْماً، اللهُمَّ إني أَعوذُ بك مِن شَرِّ نَفْسي، ومِن شَرِّ كُلِّ دابةٍ أنتَ آخِذٌ بناصِيَتِها.. إنَّ ربي على صراطٍ مستقيم ـ (مرةً)، اللهم أنت ربي لا إلٰه إلاّ أنتَ، خَلَقْتَني وأنا عبدُك، وأنا على عَهدِك ووعْدِك ما استَطَعتُ. أَعوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لَكَ بنِعمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبوءُ بذنبيّ.. فاغفِرْ لي؛ فإنه لا يَغفِرُ الذنوبَ إلاَّ أنتَ ـ (مرةً). ثم يقرأُ هذهِ السُّوَرَ والآياتِ، الآتيةَ:

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ. الرحمنِ الرحيمِ. مالكِ يومِ الدين. إياكَ نعبُدُ وإياكَ نستعينُ. إِهدِنا الصراطَ المُستقيمَ. صراطَ الذين أنعمتَ عليهِم غيرِ المغضوبِ عليهِم ولا الضالينَ﴾ ـ (آمين).

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿الٓمٓ ذلك الكتابُ لا ريبَ فيهِ هدىً للمتَقين. . . إلى المفلحون﴾، ثم ﴿وإلهُكُم إلهٌ واحدٌ لا إلٰه إلاَّ هو الرحمنُ الرحيمُ﴾، ثم ﴿الله لا إلٰه إلاَّ هو الحيُّ القيومُ لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ لهُ ما في السمٰواتِ وما في الأرضِ مَنْ ذا الذي يَشفَعُ عندَهُ إلاّ بإذنِهِ يعلمُ ما بينَ أيديهِم وما خَلفَهُم ولا يُحِيطونَ بشيءٍ مِن عِلْمِهِ إلاَّ بما شاءَ وَسِعَ كرسِيُّهُ السمٰواتِ والأرضَ ولا يَؤُدُهُ حِفْظُهما وهو العليُّ العظيمُ﴾ و﴿آمنَ الرسولُ. .﴾ إلى آخر البقرة؛ و﴿شَهِدَ الله أَنه لا إله إلاّ هو. . إلى إن الدين عند الله الإسلام﴾[1]، ثم ﴿قل اللَّهمَ مالكَ المُلْكِ. . . إلى بغيرِ حساب﴾[2].

(١) آية ١٨ من سورة آل عمران.
(٢) آية رقم ٢٦ و٢٧ من سورة آل عمران.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعلى. . .﴾ إلى آخرها.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿إذا زُلزِلتِ الأرضُ زِلزالَها. . .﴾ إلى آخرها.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿أَلهاكُمُ التكاثُرُ حتىٰ زُرتُمُ المقابِرَ. . .﴾ إلى آخرها.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿لإيلافِ قُريشٍ. . .﴾ إلى آخرهَا ـ (ثلاثَ مراتٍ).

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿قل يا أيُّها الكافرون لا أَعبُدُ ما تَعبُدُون. . .﴾ إلى آخرها.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿إذا جاء نصرُ اللهِ. . .﴾ إلى آخرها ـ (ثلاثَ مراتٍ).

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿قل هو اللهُ أحدٌ. . .﴾ إلى آخرِها ـ (ثلاثَ مراتٍ).

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿قل أعوذُ بربِّ الفلَقِ. . .﴾ إلى آخرها ـ (ثلاثَ مراتٍ).

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿قل أعوذُ بربِّ الناسِ...﴾ إلى آخرها ـ (ثلاثَ مراتٍ)، ثم يَقرَأُ سورةَ يس، وحم الدخان، والواقعة، وتبارك المُلْك.

* * *

آدابُ النوم

فإذا أراد النومَ اضطجَعَ عَلَىٰ جنبِهِ الأيمنِ، وقال: باسمِكَ ربي وضَعتُ جَنبي، وبكَ أرفَعُه.. فاغفِرْ لي ذنبي. اللهم إنْ أمسَكْتَ نَفْسي فارْحَمها، وإنْ أرسَلْتَها فاحفَظْها بما تحفظُ بِهِ عِبَادَك الصالِحين. اللهم إني أَسلمتُ نَفْسي إليكَ، ووجَّهتُ وَجهي إليكَ، وألجأتُ ظَهري إليك، وفَوَّضتُ أَمري إليك.. رغبةً ورهبةً إليك، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَىٰ منكَ إلاّ إليكَ. آمنتُ بكتابِك الذي أنزلتَ، ونبيِّكَ الذي أَرسَلتَ. ويقرَأُ ﴿قُل هو الله أحدٌ﴾ و﴿قل أَعوذ برِّ الفلقِ﴾ و﴿قل أعوذ بربِّ الناس﴾ ويَنْفُثُ في يَدَيهِ، ويمسَحُ بهما وجهَهُ يفعلُ ذلكَ ـ (ثلاثَ مراتٍ)، ويُسبحُ اللهَ ـ (ثلاثاً وثلاثينَ)، ويحمدُه ـ (ثلاثاً وثلاثين) ويكبِّرُهُ ـ (أربعاً وثلاثين)، ويقولُ: لا إلٰه إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ ـ (ثلاثَ مراتٍ)، سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰه إلاّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَليِّ العظِيم ـ (ثلاثَ مراتٍ)، أَستغفِرُ اللهَ الذي لا إلٰه إلاّ هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه ـ (ثلاثَ مراتٍ)، ويقرأُ أولَ سورةِ البقرةِ[1]، و﴿وإلٰهُكم إلٰهٌ واحدٌ لا إلٰه إلاّ هو الرحمنُ

---

(١) أي يقرأ الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة.

الرحيمُ﴾، وآيةَ الكُرسيِّ، و﴿آمنَ الرسولُ..﴾[1]، و﴿شَهِدَ اللهُ..﴾[2]، و﴿قُلِ اللَّهمَ مالكَ المُلْكِ..﴾[3]، وقُلْ يا أيها الكافرون.. ولا يزالُ يَذْكُرُ اللهَ حَتى يَغْلِبَهُ النومُ؛ فإذا استيقظ فلْيكُنْ أولُ ما يَجري على قلبهِ ولسانِهِ ذكرُ اللهِ، ولْيَختِمْ عملَهُ بذكرِ اللهِ ويَفْتَتِحْهُ بذكرِ اللهِ.

* * *

---

(١) الآيتان الأخيرتان من سورة البقرة.

(٢) الآية رقم ١٨ من سورة آل عمران، ثم قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

(٣) الآيتان رقم ٢٦ و٢٧ من سورة آل عمران.

بابٌ في الزكاةِ والفطرةِ[1]

كلُّ مَن مَلكَ مِن الفضةِ المصَفَّاةِ مائتَيْ قفلةٍ[2]، وحالَ عليها الحَولُ ففيها خَمسُ قفالٍ، وفيما زاد بحسابِه. ومَن مَلَك عشرين مثقالاً ذهباً خالصاً، أو سبعةً وعشرينَ أشرَفِياً، وحالَ عليها الحَولُ ففيها نصفُ مثقالٍ، وفيما زاد بحسابِه. وليس فيما دون ذلك زكاةٌ، ويُستَحَبُّ أن يُزَكَّى المباحُ.

وتَجبُ زكاةُ الفطرِ على مَن مَلَك زائداً على قُوتِهِ، وقوتِ مَن تلزمُه نفقتُه في ليلةِ العيدِ ويومِها، وهو أَنْ يُخرِجَ عن نفسِه، وعَمن تلزمُه نفقتُه.. مِن صغيرٍ وكبيرٍ، وحرٍّ وعبدٍ، وذكرٍ وأنثى، صاعاً من غالبِ قوتِ البلدِ (والصاعُ أربعةُ أمدادٍ بمُد النبيِّ ﷺ) زَيْديًّا شِحْريّاً نظيفاً، ويجوز إخراجُها من أولِ رمَضانَ والأفضلُ أن يكونَ في ليلةِ العيدِ وفي يومِها قبلَ الصلاةِ، ويُكْرَهُ تأخيرها بعدَ الصلاةِ، ويَحرُم تأخيرُها إلى غروبِ يومِ العيدِ.

---

(١) الفطرة: بكسر الفاء صدقة الفطر.

(٢) القفلة: بفتح أولها الوازن من الدراهم.

بابٌ في آدابِ العِيدَينِ

يُستَحبُّ أن يَغتَسِلَ للعيدين، ويتنظفَ، ويتزينَ، ويلبسَ أحسنَ ثيابِهِ، وأن يُكثِرَ مِنَ التكبيرِ من غروبِ ليلةِ العيد إلى صلاةِ العيدِ. . فيقولُ: اللهُ أكبرُ الله أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلاّ اللهُ. اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، ولله الحمدُ، اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسُبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلا. وتُستَحَبُّ الأضحيةُ لمن قَدَر عليها، وأَنْ يَحضُرَ عند ذبحِها، ويتصَدَّقَ من لحمها، ولا يُجزِىءُ من الضأنِ إلاّ ما لَهُ سَنةٌ، ولا من المعزِ إلاّ ما لَهُ سَنتان.

* * *

بابٌ في أحكامِ الصيامِ

ولا يَصِحُّ صومُ رمضانَ إلاّ إذا نوى الصَومَ في الليلِ؛ فيقولُ كُلَّ ليلةٍ: نويتُ صَومَ غدٍ عن أداءِ فرضِ رمضانِ هذه السنةَ للهِ تعالى.

ويَبطُلُ الصَومُ بالأكْلِ والشُربِ، والجِماع عَمْداً؛ فإنْ فَعَلَ شيئاً من ذلك ناسِياً أو مُكرَهاً لَم يَبْطُلْ صَومُه، وإنْ نامَ فاحتَلمَ لم يَبْطُلْ صَومُه، ولو أَمْنى. وإن باشرَ أو قَبَّلَ فأَمْنَى بطَلَ صَومُه، وإنْ حَدثَ الحيضُ والنِّفاسُ في الصومِ بطَلَ صومُ يومِها.

ويُكْرَهُ للصائِم تَقبيلُ حَلِيلَتِهِ، ومُلاعبتُها، والحجامةُ، والمبالغةُ في المضمضةِ والاستنشاقِ، والسواكُ بعدَ الزوالِ، وكثرةُ اللَغْوِ.

وأما الكَذِبُ والغِيبةُ والنميمةُ فحرامٌ، وقد تُبْطِلُ أجرَ الصِّيامِ.

ويُستَحَبُّ للصائِم تعجيلُ الفطرِ، وتأخيرُ السحورِ.. من غير أنْ يقعَ في الشكِ، ويُستَحَبُّ أن يُفطِرَ على تمرٍ؛ فإنْ لم يجدْ فعلى الماءِ.

ويُستَحَبُّ أن يقولَ عند فِطرِهِ: اللهمَّ لك صمتُ، وعلى رزقِكَ أفطرتْ، فاغفِرْ لي.

ويُستَحَبُّ أن يَغْتَسِلَ من الجَنَابَةِ قَبْلَ الفجر.

ويُستَحَبُّ المحافظةُ على صلاة التراويحِ، وهي عشرونَ ركعةً.. يُسلِّمُ من كلٍّ ركعتين.

ويُستَحَبُّ أن يُكْثِرَ في رمضانَ مِن تلاوةِ القُرآنِ، والصلاةِ، والصدقةِ، والذِكْرِ.

ويُستَحَبُّ أن يَصومَ ستةَ أيامٍ من شوَّالٍ، وأنْ يَصومَ يومَ عرفةَ، ويومَ عاشوراءَ وتاسوعاء، وأيامَ البيضِ، والاثنينِ والخميسِ.

ويُستَحَبُّ أَنْ يَنوِيَ صومَ التطوُّعِ مِنَ الليل؛ فإنْ نَوَى بالنهارِ قبلَ الزوالِ صَحَّ.

* * *

بابٌ في الحَجِّ

يجوزُ الإحرامُ بالعُمرةِ في كلِّ السنةِ، ولا يجوزُ الإحرامُ بالحجِّ إلاَّ في أَشْهُرِ الحجِّ.. وهي شِوالٌ، وذو القَعدةِ، وعشرُ ذي الحِجَّة. فإنْ أرادَ الإحرامَ بالحجِّ أَحرَمَ به مِنَ الميقاتِ بَعدَ أنْ يَغتسِلَ، ويَتنظفَ، ويَحْتَرِزُ عن كلِّ ما لا يجوزُ للمُحْرِمِ فِعْلُهُ؛ ويُصلِّي رَكعتَينِ بنيةِ سُنةِ الإحرامِ. فإذا سَلَّمْتَ فَقُلْ: نويتُ الحَجَّ وأحْرَمْتُ بِهِ للهِ تعالى، ثم يقولُ: لَبيكَ اللهمَّ لَبّيك، لَبّيكَ لا شريكَ لك لَبيك.. إنَّ الحمدَ، والنعمةَ، لكَ والمُلْكَ.. لا شَريكَ لك، اللهُمَّ صَلِّ على مُحمدٍ وآلِهِ وسَلِّم. اللهمَّ إنّي أَسأَلُكَ رِضاكَ والجَنَّةَ، وأَعوذُ بكَ مِنْ سَخَطِكَ والنارِ. وأَكْثِرْ مِنْ هذِه التلبيةِ والدُعاءِ في جميعِ الأحوالِ.

فإذا أَرَدْتَ دخولَ مكةَ فاْغتسِلْ، وادْخُلْ مِن أَعْلاَهَا وقُلْ عِنْدَ رؤيةِ البيتِ: اللهُمَّ زِدْ هذا البَيتَ تشريفاً، وتعظيماً، وتكريماً، ومهابةً. وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ، وعَظَّمهُ مِمَّنْ حَجَّهُ واعْتَمَرهُ تَشريفاً، وتكريماً، وتعظيماً، وبِرّاً، وادْعُ بما شِئتَ مِن خَيرِ الدُنيا والآخِرَةِ.

ثم ادْخُلِ الحَرمَ مِن بابِ السَلامِ. وقُلْ اللهُمَّ أَنتَ

السَلامُ، ومِنكَ السَلامُ، وإليكَ يعودُ السَلامُ؛ فَحَيِّنا رَبَّنا بالسَلامِ، وأَدْخِلْنا دارَ السَلامِ. تَباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

ثم لا تشتَغِلْ بِشَيْءٍ سِوى الطوافِ (ويُسَمَّى طوافَ القُدومِ) فَتأْتِيْ الحَجَرَ الأسودَ وتُقَبِّلُه وتقولُ: بسمِ اللهِ، واللهُ أكبرُ، اللهمَّ إيماناً بكَ، وتَصْدِيقاً بكتابِكَ، ووَفاءَ بعهدِك، واتِّباعاً لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحمدٍ ﷺ، ثم تجعلُ البيتَ على يَسارِكَ، وتطوفُ سَبْعَ مراتٍ، وتُقبِّلُ الحَجَرَ في كلِّ مَرَّةٍ. وتقولُ في كُلِّ طَوْفَةٍ عِندَ بابِ الكعبةِ: اللهمَّ إنَّ البيتَ بيتُكَ، والحرَمَ حرمُكَ، والأمْنَ أمْنُكَ، وهذا مقامُ العائِذ بكَ مِن النار. وبَيْنَ الرُكنِ اليَماني والحَجَرِ الأسْودِ: رَبَّنَا آتِنا في الدُنيا حسنةً، وفي الآخِرَةِ حسنةً، وقِنا عذابَ النارِ. وأكْثِرْ في الطَوافِ من الدُعاءِ وتلاوة القُرآنِ وذِكْرِ اللهِ تعالى، ثم تُصَلِّي بَعدَ الطوافِ ركعتَينِ خَلْفَ المَقَامِ، وتشربُ مِن زَمْزَمَ، ثم تَرجِعِ إلى الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَتُقَبِّلُهُ.

ثم تخرجُ مِن بابِ الصفا إذا أَرَدْتَ السَعْيَ، واصْعَدْ في دَرَجِ الصَفا، واسْتَقبِل القبلَةَ، وقُلْ: اللهُ أكبرُ الله أكبرُ الله أكبرُ ولله الحمدُ اللهُ. أكبرُ على ما هَدانا، والحمدُ للهِ على ما أَوْلانا، لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ له، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ

الحمدُ، وهُو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ. ثم تَدْعُو بما شِئتَ. ثُمَّ تَسعى إلى المَرْوَةِ فتأتي عليها بالذِكْرِ والدُعاءِ، ثُمَ تَعودُ إلى الصَفا حتى تَسعىٰ بينَهُما ـ (سَبعَ مراتٍ)، وأَكْثِرْ في السَعْيِ مِنَ الذِكْرِ والدُعاءِ وتِلاوةِ القرآنِ.

فإذا كان يومُ الثامنِ مِنْ ذي الحِجَّةِ.. خرجْتَ مع الناسِ إلى مِنى، وتَبِيْتُ بِها، ثُمَّ تَسِيرُ بعدَ الصُبحِ إلى عَرَفةَ.. فتَقِفُ بُها مِن بَعدِ الظُهرِ، وأَكْثِرْ فيهِ مِنَ الذِكْرِ والدُعاء والتلاوةِ مع التضرُعِ والخشوعِ، ويُستَحَبُّ أَنْ تقولَ فيهِ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ، وحدَهُ لا شَرِيْكَ له، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ ـ (أَلفَ مَرَّةٍ).

ثمَ تَفِيضُ بعد الغُروبِ إلى المُزدَلِفَةِ وتَبيتُ بِها. وتَسِيرُ منها بَعدَ الصُبحِ إلى مِنى، فتَرمِيْ جمرةَ العقَبةِ بَعدَ طلوعِ الشَمْسِ سَبْعَ حَصَياتٍ صغارٍ، ثُمَ احْلِقْ رأْسَكَ، وَاذْبَحْ إِنْ كان معَكَ دمٌ، ثم سِرْ إلى مَكةَ وطُفْ (طوافَ الإفاضَةِ)، ثم ارْجِعْ إلى مِنى فَبِتْ بها لَيَالِيَ التَشريقِ، وتَرْمي الجَمْراتِ الثلاثَ كُلَّ يومٍ بَعدَ الزَوالِ وقَبْلَ صَلاةِ الظُهرِ.. تَبدأُ بالجمرة التي عندَ مَسجِدِ الخَيْفِ. وتَخْتِمُ بِجمْرَةِ العَقَبةِ، ثُمَّ سِرْ إلى مَكةَ بعدَ ظُهْرِ آخِرِ أيام التَشريقِ.. فهذِه صفةُ الحَجِّ.

فإذا أردْتَ العُمرَةَ فاخْرُجْ إلى التَنْعِيم، وأَحْرِمْ بالعُمرَةِ، ثُمَّ عُدْ إلى مَكةَ فَطُفْ، واسْعَ، واحْلِقْ أو قَصِّرْ. . فهذِهِ صفةُ العُمرَةِ.

فإذا أردْتَ السفَرَ مِن مَكةَ، فَطُفْ (طَوافَ الوَداعِ) إنْ شِئْتَ المَسِيرَ إلى المدينة الشريفةِ أو غيرِها.

(فإذا أَردْتَ دخولَ المدينةِ الشريفةِ) فاغْتَسِلْ، وتَطَيَّبْ، وتَزَيَّنْ، وصَلِّ إذا دَخلْتَ المسجِدَ الشريفَ ركعتَينِ في الروضَةِ الكريمَةِ ـ وهيَ ما بينَ المِنْبَرِ والقبرِ الشريفِ ـ ثم اقْصُدْ قبرَ النبيِّ ﷺ، فَاسْتقْبِلْهُ وأنتَ متأخِّرٌ عنهُ، وقُلْ: الصلاةُ والسلامُ عليكَ يا سيِّدَ المُرسَلِين، الصلاةُ والسلامُ عليكَ يا مَن أَرسَلَهُ اللهُ رحمةً للعالَمِين. أَشهدُ أَنكَ قد بَلَّغتَ الرسالةَ؛ ونصَحتَ الأُمةَ. وجاهدتَ في اللهِ حقَّ جهادِهِ. فجزاكَ اللهُ عنا أَفضلَ ما جَزَى نبياً عن أُمَّتِهِ، ثُم تُبلِّغُهُ سلامَ مَنْ أَوْدَعَكَ السلامَ، وتدْعُو بما شِئْتَ، ثُمَّ رُدَّ السلامَ على أبي بَكرٍ، وعُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهما ـ وتَخرجُ إلى البقيع، فتزورُ قبرَ إبراهيمَ ابنِ النبيِّ ﷺ، وقبرَ عثمانَ ابنِ عَفانَ، والعباسِ، والحسَنِ، وسائرِ السادةِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُم أجمَعِين ـ.

آدابٌ تتعلقُ بالنكاحِ

يجبُ على المرأةِ الاحتِجابُ عن الرجالِ الأجانبِ، ولا يجوزُ للمرأةِ أَن تنظرَ إلى عَورةِ امْرأَةً أخرَى، ولا يجوزُ لها أن تغتَسِلَ عُريانةً والنِساءُ يَنظُرنَ إليها.. ولو بناتُها. ولا يجوزُ لها أَنْ تَنامَ هيَ وامْرَأَةٌ أخرى في ثوبٍ واحدٍ ليس بينَهُما حائلٌ. ويَحرُمُ سَفَرُ المرأَةِ بِلا زَوجٍ، أو مَحْرَمٍ، أو نِسْوَةٍ ثقاتٍ. وإذا احتاجَت إلى أَنْ تُكلِّمَ أحداً مِنَ الأجانِبِ؛ فليكُنْ بصوتٍ غليظٍ لا صوتٍ رقيقٍ، ويُستَحَبُّ لها أن تتزيَّنَ لزوجِها بالطِّيْبِ، والغُسْلِ، والحِنَّاءِ، والخِضاب، والكُحْلِ، واللِّباسِ، ويَجوزُ لها لُبسُ الذهَبِ والفضةِ واللُّؤلُؤِ والحريرِ بِلا إسرافٍ، ولا يَجوزُ لها استِعمالُ أواني الذهبِ والفضةِ.. وإن كان صغيراً. مثلَ وِعاءِ الزبادِ وغيره، ويَحرُمُ عليها الوَشْمُ (ويَجوزُ للبَناتِ) اللَّهو باللُّعَبِ المصوراتِ، وبالغِناءِ، والدُّفِّ والمَدْرِيهَةِ (وهي الأُرْجوحةُ).

بابٌ في صفةِ آدابِ الزَوجِ

تَجِبُ على المرأةِ طاعةُ زوجِها في كل ما طَلَبَهُ منها.. في نَفْسِها مما لا مَعصِيَةَ فيه، وتجبُ عليها الصيانةُ والسَّترُ

ما استطاعتْ. وأن لا تُكلِّفَهُ فوقَ الحاجةِ. وأن لا تجحَدَ إحسانَهُ. وأن لا تَخْرُجَ مِن بيتِه إلاَّ بإذنِهِ، ولا تُدْخِلَ أحداً بَيتَهُ إلاَّ برضاهُ، وأَنْ لا تُكلِّمَ رجلاً مِن غيرِ محارِمِها إلاَّ بإذنِه، وأَنْ لا تأكُلَ شَيْئاً يكرَهُهُ. وعليها الرفقُ بأقاربِهِ وصِلَةُ أَرحامِهِ، والشفقةُ على أولادِهِ وعبيدِه، وأَنْ تقومَ بِما قَدَرَتْ عليهِ مِن خِدمَةِ بيتهِ، وتُقَدِّمَ حقَّهُ على حقِّ نفسِها، وحقِّ أهلِها. . وأن لا تراجِعَهُ في الكلامِ، ولا تتكَبَّرَ عليهِ، ولا تَستحْقِرَهُ لِفَقْرِهِ أو غَيْرِه، وأنْ تحفَظَ زوجَها إنْ غابَ أو حضرَ، وتَطلُبَ مشورتَهُ في جميعِ أُمورِها، وأنْ يَكونَ مُهِمَّتَها تدبيرُ بَيتِها، وصلاتُها، وصومُها، وأن تكونَ نظيفةً مزينةً في غالبِ أحوالِها مستعدةً لأَنْ يستَمتِعَ بها زوجُها أيَّ وقتٍ شاء، ولا ينظُرَ منها إلاّ الجميلَ، ولا يَسمَعَ منها إلاَّ الحسَنَ.

* * *

بابٌ في تربيةِ الأطفالِ

يُستَحَبُّ أن يُسَمَّى المولودُ باسمٍ حَسَنٍ في يوم سابعِهِ، وأن تُذْبَحَ عنه عقيقةٌ، وأن يُحلَقَ رأسُهُ ويُتَصَدَّقَ بوزنِهِ مِن ذهبٍ أو فضةٍ، ويُؤَذَّنَ في أُذُنِهِ حينَ يُولدُ! ويُحَنَّكَ بقليلِ تمرٍ، ويُتَصَدَّقَ بما قُدِرَ عليه من لحم العقيقةِ مطبوخاً، ولا يُكْسَرَ عَظمُها.

وإذا قَرُبَ وَقتُ نُطقِهِ، فَلْيُلَقَّنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ، محمدٌ رسولُ اللهِ. ويُفَرَّقُ بينَ الذكور والإناثِ إذا بَلَغوا عشرَ سِنينَ، ويُؤمَرونَ بالصلاةِ لسبع سِنينَ، ويُضْرَبونَ على تَرْكِها لعشرِ سِنينَ.. وتَرْكِ ما أَطاقُوه مِن الصَومِ إذا بلغوا عشرَ سِنينَ، ويُستَحَبُّ أن يُكَفَّ الصبيانُ إذا دخل الليلُ.

فَصْلٌ إذا وضعتِ المرأةُ الطفلَ، فينبَغِي أن تَحلُبَ اللبنَ المُجتَمِعَ في ثَدْيِها ولا تُرْضِعَه الطفلَ، فإنَّ ذلك يَضُرُّه وإذا حَبِلَتْ أُمُه عليه، فليُمنَعِ الطفلُ مِن رَضاعِها؛ فإنَّ لبنَها يَضُرُّهُ ولا يُطْعَمِ الطفلُ شَيْئاً سِوَى اللبَنِ إلى أنْ تَنْبُتَ أسنانهُ وتَقوَى، ووقتُ نباتِ الأسنانِ ما بينَ ستةِ أشهُرٍ إلى عشرةٍ، وفي انطلاقِ البَطْنِ لهم منفعةٌ عظيمةٌ عندَ نباتِ الأسنانِ فلْيُدْلَكْ موضِعُها كلَّ يومٍ بالزُّبْدةِ أو السَّمْنِ، ولا ينبغي أن

تَكْرَهَ الأُمُّ بكاءَ الطِفلِ ما لم يُفْرِطْ، فإنَّهُ ينفعُهُ ويُوَسِّعُ أمعاءَهُ، ويَرِيْضُ أعضاءَهُ، ويَفْسَحُ صدرَهُ، ويهضُمُ ما في بطنِهِ من الغذاء، ويُثيرُ حرارةَ مزاجِهِ، ويُحرِّكُ طبيعَتَهُ لِدفْعِ ما فيها من الفَضْلةِ الرديئةِ، ويُخرِجُ ما في دماغهِ منَ المخاطِ وغيرِه.

ويَنبغي أن يُحفَظَ الطفلُ عن كلِّ ما يُفزِعُه مِنَ الأصواتِ الشنيعةِ. . وغيرِها، فإنْ حَصَلَ فزعٌ، فليُبادَرْ إلى دَفْعِ ذلك بتسكينِه وإرْضاعِه؛ ولْيُحْذَرْ أن يُملأَ بَطنُهُ مِنَ اللبَنِ وغيرِهِ، بل يُعطَى دونَ الشِّبَعِ! فإنَّ ذلك أجْوَدُ للهَضْم، وأَعدَلُ للصِحة. وأكثرُ ما يَعْرِض للطِفلِ مِنَ الأسْقامِ مِن امْتِلاء البَطنِ.

ولا يُكَلَّفِ الطِفلُ القيامَ والمشْيَ قَبْلَ وقتِهِ، فقد يَعرِضَ في رِجْلَيْهِ اعْوِجاجٌ بسبب ذلك لضُعفِهِما.

ولا يُفْطَمِ الطِفلُ إلاّ بعد استكمالِ الحَولَين. وبعدَ أنْ يتكاملَ نباتُ أسنانِهِ، ويَقْوَى على أكلِ الطعامِ، ويكونَ في وقتٍ معتدلٍ بين الحَرِّ والبَردِ. . وإذا قَرُبَ وقتُ نطقِه فليُدْلَكْ تحتَ لسانِهِ كلَّ يومٍ بالعسل والمِلْحِ، فإنَّ ذلك يُفْصِحُ لسانَهُ.

* * *

بابٌ في أدويةٍ نافعة إنْ شاء الله تعالى

(حَجَرُ المَها): إذا سُحِق ومُزج بالماء، وطُلي به ثَدْيُ المرأةِ المرضع.. أَدرَّ لبنَها. (الحِلْبَةُ): إذا طُحِنتْ وجُعِلَتْ على ثدي المرأةِ التي أثقلها اللبن قُطِعَ لبنُها.

(العَفْصُ): إذا سُحِق وطُلي به على المَقْعَدَة ردَّها كما كانت (وكذلك قَشرُ الرمانِ): إذا طُبِخ بالماء وجَلَس في طبيخه الصبيان نفعَهم مِن خُروج المَقْعَدةِ.

(قِشْر القرع): وهو الدُبَّاءُ إذا حُرِقَ وجُعِل على جراحةِ الختانَين للصِبيانَ نَفَعَهم.

(المَرْجانُ) إذا عُلِّقَ على الطفل أَمِنَ من العاهات. (الحِنَّاءُ) إذا خُضِب به رِجْل الصَبي عند ظُهور الجُدري لم يطلَع في عينيهِ شيء بإذنِ الله تعالى! (بياضُ البَيْضِ): إذا طُلي به أذهَبَ آثارَ الجُدرى.

(البصلُ): إذا دُلِكَ به الجَو نفعه، وداءُ الثعلب: وهو فسادُ نباتِ شعرِ الرأس أنبَتَهُ سريعاً بإذن الله تعالى. (خِضابُ العَفْصِ) إذا دُلِكَ على الحزايزة بعدَ دَلْكِها أزالَها.

(ماءُ الوردِ): إذا شمَّهُ صاحبُ الصُداعِ الحارِ، أو طَلَى به

جَبهَتَه سكنَ الألمُ، وكذلك (الحَنُّون): وهو ثَمَرُ الحِناء، ويُسَمَى (الفاغِيَة): إذا سُحِقَ وطُلِيَ به الرأس سكنَ الصُداعَ بإذنِ اللهِ تعالى.

(اللبانُ الجاوي): إذا تَبخَّر به المرءُ نفعَهُ بإذنِ الله، وإذا سُحِق قليلٌ من اللبانِ الشِحْري، ونُفِخ في الأنف فَتحَ العُطاسَ، وكذلك (الزَنْجَبيلُ) والقُسْطُ والحبةُ السوداءُ وحافرُ الحِمار: إذا تبخَّرَ به المصروعُ أفاق بإذنِ اللهِ تعالى.

(لبنُ المرأةِ): إذا قُطِّر في عين الأرمدِ نفعَهُ بإذنِ اللهِ تعالى. (الكَمُّونَ): إذا مُضِغَ بَرِيقِ الإنسانِ، ثم قُطِّر في العين من خِرْقِةِ نفعَهُ من الطَرْفةِ.

(الزعفرانُ): إذا سُحِق ومُزج بماءِ الورد، واكتُحِلَ به قَطَع الدمعةَ، وجَفَّفَ رطوبةَ العَينِ.

(كَبِدُ الماعزِ): إذا شُوِيَت واكتُحِلَ بما يَسِيلُ منها نَفعَ مَنْ يَجْهُرُ بالليل.

(البَقْلُ): وهو الفِجْلُ إذا طُبِخ معَ المِلح، وعُصِر من خِرْقةٍ، وقُطِّرَ في الأُذن نَفَعَ من وَجَعِ الأُذْن.

(الثُومُ): إذا دُلِك به الضرسُ المثقوبُ سكَنَ وجعُهُ.

(القَطِرانُ): إذا قُطِّر منه في ثُقبِ الضرسِ المثقوبِ سَكَنَ وجعُه.

(البُصَيْلةُ الحمراء): وهي الوردُ إذا سُحِقتْ، وتُمِضْمِضَ بها مع الخلِّ، وأُمسِكَ في الفم ساعةً نفعَ مِنَ البُثور في الفَمِ.

(مثقالُ الذهب): إذا أُمسِك في الفمِ ساعةً طيَّبَ رائحتَه، وأزال البَخَرَ.

(الكبريتُ): إذا دُخِّن به الفَمُ بقصبةٍ يَجعَلُها في فيهِ.. أَسقَطَ العلَقَ الذي في الحَلْقِ. (القِرفَةُ): إذا طُبِختْ في ماءٍ يسيرٍ، مع قليلِ عِلْكٍ.. نفَعَ صاحبَ القيءِ، وكذلك (القُرنفلُ): إذا أُكِلَ منهُ يَسِيراً أذهبَ الغَثَيانَ.

(الصندلُ): إذا خُلِطَ بماءِ الوردِ، وقليلِ كافورٍ، وجُعِلَ على البطنِ نَفعَ مِنِ التهابِ العَطشِ.

(شجرةُ الأشنانِ): إذا طُبخ في ماءٍ، وشُرِب منه نَفَعَ من نَفْخِ البَطنِ والرِياحِ. (ذَهَبُ الفاليةِ): إذا دُهِن به السُّرَة نفَعَ مِن المَغَص.

(الصمغُ): إذا شُرِب منه قَفلتانِ في أوقيةِ سمنٍ بَقَري.. قطَعَ نَزْفَ الدَمِ من الرَّحِم، يُكرَّرُ ـ (ثلاثَ مراتٍ).

(الزَّبَادُ) إذا تحمَّلتّ به المرأَةُ بعد طُهرِها أسرَع الحملَ بإذن الله تعالى. (المَرجانُ) إذا عُلِّق على المرأةِ لَم يَسْقُط جَنينُها بإذنِ اللهِ تعالى. (وظِلْفُ البَقَرِ): إذا تبخَّرَتْ به المرأةُ التي مات الجنينُ في بطنِها ألْقَتْهُ بإذنِ اللهِ تعالى.

(قَرْنُ الوِعْلِ): إذا عُلِّق منه شيءٌ على المرأةِ سهَّلَ ولادَتها. وإذا أُخِذ أوقيةُ سكرٍ أبيضَ، وأوقيةُ سَمنِ بَقَرٍ، وخُلِطَ ولَعِقَتْه المرأةُ عَقِبَ الوِلادةِ نفعَها مِن وَجعِ الجَوفِ الذي يَحدُثُ بعدَ الوِلادةِ. واللهُ أعلمُ.

* * *

بابٌ في العِدَّةِ

إذا طلَّقَ المرأَةَ زوجُها قَبْلَ الوَطْءِ، فلا عِدَّةَ عليها . . وإن كانَ بعدَ الوَطْءِ تَجبُ عليها العِدَّةُ. فالحاملُ تعتَدُّ بِوَضْع الحَمْلِ، والصغيرةُ التي لم تَحِضْ تَعْتَدُّ بثلاثةِ أشهُرٍ: والتي تَحِيضُ تَعْتَدُّ بثلاثةِ أَقْراءٍ. فإذا كان الطلاقُ في طُهرِها انقضتْ عدتُها برؤيةِ الحَيْضةِ الثالثةِ، وإن كان في حَيْضِها لم تنقضِ العدةُ إلاَّ برؤيةِ الحيضةِ الرابعة، وإن حاضَتِ الصغيرةُ المعتدةُ بالأشهُرِ قبلَ تمامِ عِدَّتِها. . انتقلَتْ إلى الأقْراء.

ومَن مات عنها زوجُها. . فإن كانتْ حاملاً منه اعتدَّتْ بوَضْعِ الحملِ، وإلاَّ اعتدَّتْ بأربعةِ أشهُرٍ وعشرٍ؛ وعِدَّةُ الأمَةِ من الأشهُر شهرٌ ونصفٌ، ومِنَ الحيضِ بحَيْضتَينِ، والحامِل بوَضْعِ الحملِ. والمتوفَّى عنها زوجُها ولا حَمْلَ بها شهرانِ وخمسةُ أيام. ومَن طلَّقَها زوجُها طلقةً رجعيةً، ثم تُوُفِّيَ انتقلتْ إلى عِدَّةِ الوفاةِ ووَرِثتْهُ وإنْ ماتتْ في عِدَّةِ الرُجعىٰ وَرِثَها.

ويجبُ في عِدَّةِ الوفاةِ الإحدادُ وهو أن تَترُكَ الزينةَ، فلا تَلْبَسْ شيئاً من الحُلِيِّ، ولا تتطيَّبْ، ولا تَخضِبْ بحِنَّاءٍ ولا غيرِها، ولا تَكتَحِلْ إلاّ إذا تَضرَّرَتْ عينها فتكتَحِلْ بالليل

وتغسِله بالنهار. ولا تلبسْ مِن الثيابِ ما صُنِعَ للزينةِ، ولا تَخرُجْ مِن منزلِها لغيرِ حاجةٍ، وإنِ احتاجتْ إلى الخروجِ خرجَتْ بالنهارِ، ولا يجوز الخروجُ بالليلِ.

بابٌ في الرَّضاعِ

إذا ثارَ للمرأةِ لبنٌ على ولدٍ، فارتَضَعَ منها طفلٌ لهُ دونَ الحَولَينِ خمسَ رَضْعاتٍ متفرقاتٍ.. صار الطفلُ ولداً لها، وأولادُهُ أولادَها. وصارتِ المرأةُ أمًّا له، وأمُها جَدَّتَهُ، وأبوها جَدَّهُ، وأولادُها كُلُهم إخْوانَه، وأَخَواتِهِ وإخْوانُها أَخْوالَهُ. وكذلك يصيرُ الطفلُ ولداً لِزَوجِها الذي ثار اللبنُ على ولدِه، وأولادُ الطفلِ أولادَهُ، ويصيرُ الرجلُ أباً لِلطِفلِ، وأُمُّهُ جَدتَهُ، وأبوه جَدَّه، وأولاده كلُهم إخوَتَه، وإخوةُ الرجلِ أعمامَهُ، ويَحرُم النكاحُ بينَ جميعِ المذكورِين بالرَّضاع كما يَحرُمُ بالنَسَبِ.

بابٌ في النفقةِ، وصِلَةِ الرَّحِمِ

تَجِبُ على الابنِ، والبنتِ، وأولادِهِما ـ إذا كانوا موسرين ـ نفقةُ الأَبِ والأمِ والجَدِّ والجَدَّةِ، ونفقةُ الابنِ

والبنتِ وأولادِهِما.

ومَن مَلَكَ عبداً أو أمةً لَزِمَهُ نفقتُهُما وكسوتُهُما، ويُستَحَبُّ أنْ يُطْعِمَ مملوكَه مِما أكلَ، ولا يكلفَهُ من الخدمةِ ما يُضرُّ بِهِ.

ومَن مَلَكَ بَهيمةً يَجِبُ عليه القيامُ بها، ولا يَحْمِلُ عليها ما يُضِرُّ بها، ولا يحلُبْ من لَبنِها ما يُضِرُّ بولدِها.

ويُستحَبُّ التوسعةُ على العيالِ بقَصْدٍ، ويَجِبُ برُّ الوالدَينِ والإحسانُ إليهِما، وصلةُ الأرحامِ والأيتامِ. وكفُّ الأذى عن الجار، وإكرامُ الضيفِ، ويُستحَبُّ زيارةُ الإخوانِ.

* * *

بابٌ في الكَسْبِ والمعاشَرةِ

يُستحَبُّ أن يكونَ لكلِّ أحدٍ حِرفَةٌ يكتَسِبُ بها على نفسِه وأهلِه وعيالِهِ، ومِن أفضَلِ حِرَفِ النِساءِ المغزلُ، ويَجبُ أن يَطلُبَ الحلاَلَ ويجتنِبَ الحرامَ، ويُستحَبُّ أن يكونَ سَمْحاً في بَيعِه وشِرائِهِ وقَضائِه واقتِضائِهِ، ولْيَحْذَرْ مِن نَقْصِ الكَيلِ والوَزنِ، ومِن الغِشِ، وكَتْم العيُوبِ، والخديعةِ، ومن الخيانةِ، ومن الكذبِ واليمينِ ولو كان صادقاً! ومن المَطْلِ، ومن الاحتكارِ في وقتِ الغلاءِ، ومِن الوُقوع في الرِّبا، وأن لا يُفْرِطَ في طلَبِ الرزقِ إلى حيثُ يَشْغَلُه عن أمرِ دينِهِ.

آدابُ الطعامِ

يُستحَبُّ غَسلُ اليدَينِ قبلَ الأكلِ وبعدَه، وأَنْ يَبدأَ بالمِلحِ ويَختِمَ به، وأن يُسمِّيَ اللهَ في أولِه، ويحمَدَهُ في آخِرِه.. وأن يأكلَ بيمينِه، ويُصغِّر اللقمةَ، ويُجيدَ المَضغ، ويأكلَ مما يليهِ، ولا يُتبعَ نَظَرَهُ لقمةَ صاحبِهِ، ولا يأكلَ مِن أعلى الصَحْفَةِ، وأن يَلْعَقَ أصابِعَه إذا فَرَغ، ويلعق الصحْفةَ.. ولا ينفُخْ في الطعامِ والشراب، ولا يشرَبْ من فمِ القربةِ، ولا مِن ثُلْمَةِ الإناءِ، ولا يَذُمَّ الطعامَ، ولا يَقرِنْ بين تمرتَين، ولا يتمخَّط حالَ الأكلِ،

ولا يأْكلْ على طبقٍ مقلوب، ولا يَجمَعْ بين التمر والنوَى في وعاءٍ واحد.

ويُستحَبُّ الاجتماعُ على الطعام، وأن يقرأَ بعد الطعامِ الفاتحةَ، ولإيلاف قُريشٍ، وقُل هو الله أحدٌ. ويقول: الحمدُ لله الذي أطعمنا وأَشبعَنا وأسقانا وأَرْوانا، والحمدُ للهِ الذي أطعَمَني هذا الطعامَ، ورزقني إيّاهُ من غير حَولٍ مني ولا قوةٍ.

* * *

بابٌ في آداب الصُحْبَةِ من السلامِ والاستئذانِ، وآفاتِ اللسانِ.. وغيرِ ذلك

يُستحَبُّ إفشاءُ السلامِ والمصافحةُ عندَ اللقاءِ، والأفضلُ أن يقولَ: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. وردُّ السلامِ واجبٌ ويُستحَبُّ أن يُرْسِلَ السلامَ إلى غائبٍ، ويَجبُ على الرسولِ أن يُبلِّغَهُ. ويُستحَبُّ أن يقولَ له: عليك وعلى فلانٍ السلامُ. وإذا سَلَّم على مَن عندَهم نائمٌ خَفَضَ صوتَه بِقَدْرِ ما يسمَعونَ ولا يوقِظُ النائمَ، ويَبدأ الراكبُ بالسلامِ على الماشي، والماشي على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ، والصغيرُ على الكبير.

ويُستَحَبُّ الإرْسالُ بالهديةِ، ويُكرَهُ ردُّها إلاّ لعذرٍ، ويُستحَبُّ المصافحةُ عندَ اللقاءِ.

ويُستحَبُّ أن يستأذِنَ على مَن أراد الدخولَ عليه. وإذا استأْذَنَ فقيلَ له: مَن أَنتَ، فلا يَقُلْ: أَنا، بل يقول: أنا فلان، ويصفُ نفسَه بما يُعْرَفُ به. ويُستحَبُّ السلامُ عند دخولِ البيت؛ وإن لم يكن فيه أحد، ويُستحبُّ لِمَنْ عطَس أن يقول: الحمدُ لله على كل حال، فيقولُ مَنْ يسمعُه: رحمَك الله. فيقول: وأنت يَهديكَ الله. ويُكْرَه منعُ الماءِ

والنارِ والملحِ والخَميرةِ والإبرةِ، وَرَدُّ السائلِ والسؤالُ من غير حاجةٍ، والسؤالُ بوجهِ الله، وكثرةُ الضَحِكِ والمزاحِ، والخوضُ فيما لا يَعنيه، والمخاصمةُ والمِراءُ والفحشُ واللعنُ والدُّعاءُ على نفسِه أو غيرِه، والسخريةُ بغيرِهِ، وإخلافُ الوعدِ.

وأما الكذبُ والغِيبةُ والنميةُ فحرامٌ قبيحٌ. تَجبُ التوبةُ منها ومِن سائرِ المعاصي. ويُكْرَهُ أن يجلسَ مجلِساً ولا يذكُرُ اللهَ فيه. ويُستحَبُّ إذا أرادَ أن يقومَ من مجلسِهِ أن يقولَ: سُبحانكَ اللهم وبحَمدِك، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك.. سُبحانَ ربِك ربِّ العِزَّةِ عمّا يَصِفُون، وسلامٌ على المرسلين والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

* * *

القِسْمُ الثّاني

في فضائلِ الأعمالِ المرضيّةِ بالدّلائلِ المرويّةِ

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلاّ الله وحده لا شريكَ له، وصلَّى الله على سيِّدِنا محمدٍ خاتِم النبيينَ وآلِهِ وصحبِهِ وسَلَّمَ أجمعين.

آدابُ الانتباهِ من النَوم

قال النبيُّ ﷺ: (مَن قال حينَ يَستيقظُ: لا إلٰه إلاّ الله، وحدَه لا شريكَ له، له المُلك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلاّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله العليِّ العظيمِ، إنْ دعا استُجِيبَ لَهُ؛ فإن قامَ وتوضَّأَ وصَلَّى قُبِلَت صلاتُه).

آدابُ الخلاءِ

قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَن لَمْ يَستقبِل القبلةَ، ولم يستَدْبِرْها في الغائطِ.. كُتبَتْ له حسنةٌ. ومُحِيَتْ عنه سيئة. وإن اللهَ يمقتُ الكلامَ على الغائطِ، ومَن آذَى المُسلمينَ في طريقِهم وَجَبَتْ عليه لعنتُهم، واستبرِئوا من البول.. فإنّ عامةَ عذابِ القبرِ منه).

آدابُ الوُضوءِ

قال رسولُ الله ﷺ: (إذا توضّأَ العبدُ المسلمُ، فغسلَ وجهَهُ.. خرجَتْ من وجهِه كُلُّ خطيئةٍ نظرَ إليها بعينِه مع الماءِ. فإذا غسلَ يديه.. خرجَتْ كلُّ خطيئةٍ كسَبَتْها يداهُ مع الماءِ. وإذا غسلَ رجلَيْهِ.. خرَجَتْ كلُ خطيئةٍ مَشَتْها رجلاهُ مع الماءِ. حتى يَخرُجَ نَقِياً مِن الذنوبِ).

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: (لا وُضوءَ لمن لَمْ يُسَمِّ الله عليه).
وقال ﷺ: (مَن توضَّأَ فأحسنَ الوضوءَ، ثم قال: أشهدُ أنْ لاَ إلٰه إلاّ اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، اللهمَّ اجعَلْني مِن التوّابِينَ، واجعلْني من المتطَهِّرين، واجعلني من عبادِك الصالحين، فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ، يدخلُ

مِن أيِّها شاءَ).

وقال ﷺ: (مَنْ توضَّأَ، وأحسَنَ الوضوءَ، ثم صلَّى ركعَتَيْنِ لا يَسهُو فيهما.. غفرَ اللهُ له ما تقدَّمَ من ذنبِه).

بابٌ في فضائِل السِّواكِ

قال ﷺ: (السواكُ مَطهَرةٌ للفَمِ، ومرضاةٌ للربِّ). وقال ﷺ: (ركعتان بسواكٍ أفضلُ من سبعينَ ركعةً بغيرِ سواكٍ). وقال ﷺ: (السواكُ، ونتفُ الإبطِ، وحلقُ العانةِ، وقَلْمُ الاظفارِ، وقصُ الشاربِ من السُنَّةِ).

وكان ﷺ يُحِبُ التيامُنَ في وُضوئِه، وأَكْلِه، وشُربِه، وأَخْذِه، وعطائِه. ويجعلُ اليُسرَى للاستنجاءِ والمخاطِ وإزالةِ القَذَر، وللسواكِ منافعٌ كثيرةٌ في الدِين والدُنيا.. منها ما ذكرناه، ومنها أنه يَجْلُو البصرَ، ويَقطعُ كلَّ داءٍ، ويُورِثُ الصحةَ، ويَزيدُ في الحِفْظِ، ويُورِثُ الغِنى والسَّعة في الرزق!! وينفعُ مِن الصُداعِ، ومن وَجَعِ الضِرس.

بابٌ في الأذانِ

قال ﷺ: (لا يسمعُ صوتَ المؤذِّنِ جِنٌّ، ولا إنسٌّ،

ولا شجرٌ، ولا حجرٌ، إلاَّ شَهِدَ له يومَ القيامةِ. ويَستغفرُ له كلُ رطبٍ ويابسٍ، وله مثلُ أجرِ مَن صَلَّى معه).

وقال ﷺ: (إذا سمعتم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقولُ. فمَنْ قال ذلك مِن قلبِهِ يَقيناً دخلَ الجنة)، وقال ﷺ: (مَن قال بعدَ الأذانِ: اللهُمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ، والصلاةِ القائمةِ آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ. وابعَثْهُ مقاماً محموداً الذي وعَدْتَهُ إنك لا تُخلِفُ الميعادَ، وجبَتْ له شفاعتي يومَ القيامة).

وقال ﷺ: (الدعاءُ بينَ الأذانِ والإقامةِ لا يُرَدُّ. فاسألوا اللهَ العافيةَ في الدينِ والدُنيا والآخِرةِ).

بابٌ في رواتبِ النوافِلِ

قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَن حافظَ على ركعتينِ قَبلَ الصبحِ، وأربعٍ قبلَ الظُهر، وركعتَينِ بعدَها، وركعتَينِ بعدَ المغربِ، وركعتَينِ بعدَ العشاءِ. دخلَ الجنةَ).

وقال ﷺ: (مَن حافظَ على أربعِ ركعاتٍ قبلَ العصر. حَرَّم الله بدنَه على النار). وقال ﷺ: (ركعتا الفجرِ خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها). وقال ﷺ: (الوِترُ حقٌ. . فمن لم يوتِرْ فليس مِنَّا، إن اللهَ وَتر يحبُ الوِترَ فأَوتِروا).

بابٌ في الصلوات الخمسِ

قال رسول الله ﷺ: (خمسُ صلواتٍ افترضَهُن الله عزَّ وجل.. مَن أحسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وصلاَّهُنَّ لوقتِهنَّ، وأَتمَ ركوعَهُن وسجودَهُن وخشوعَهُن؛ كان له على الله عهدٌ أن يَغفِرَ الله له. ومَن لم يفعلْ ذلك.. فليس لهُ على الله عهدٌ). وقال ﷺ: (مَن صلَّى الصلواتِ الخمسَ لوقتِها، وأَسْبَغَ لها وُضُوءَها، وأتمَّ لها ركوعَها وسجودَها وقيامَها وخشوعَها خرجَتْ وهي بيضاءُ مسفرةٌ تقولُ: حَفظَك اللهُ كما حَفِظْتني، وإلاَّ خرجَتْ وهي سوداءُ مظلمةٌ، تقول: ضَيَّعك اللهُ كما ضَيَّعْتَني، ثم تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوبُ الخَلِقُ، ويُضْرَبُ بها وجهُهُ).

وقال ﷺ: (مَن حافَظَ على الصلواتِ، وأتم ركوعَهن وسجودَهن ومواقيتَهن ـ كما أمرَهُ الله ـ وجبَتْ له الجنّةُ، وحَرُمَ على النار، وعاش بخيرٍ ومات بخيرٍ، وخرجَ مِن ذنوبهِ كيومِ ولدتْه أمُه).

وقال ﷺ: (أولُ ما فرضَ اللهُ على الناسِ مِن دِينِهم الصلاةُ، وآخِرُ ما يبقى الصلاةُ وأولُ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامة الصلاةُ؛ فإن صَلَحت صَلَح بها سائرُ عملِه، وإن

فَسَدتْ فَسَد بها سائرُ عملِه). وقال ﷺ: (لا صلاةَ لِمَنْ لم يُقِمْ صُلْبَه في الركوعِ والسجودِ، وأسرقُ الناسِ الذي يَسرِقُ مِن صَلاتِهِ.. فلا يُتِمُ ركوعَها ولا سجودَها. ولا ينظُر اللهُ إلى صلاةِ عبد لا يقيمُ فيها صُلْبَهُ بين ركوعِها وسجودِها، وإنَّ الرجُلَ لَيُصَلِّي ستينَ سنةً وما تُقْبَلُ له صلاةٌ. ومَنِ التَفَتَ في صلاتِه.. ردَّ اللهُ عليهِ صلاتَهُ).

وقال ﷺ: (الصلواتُ الخمسُ كفاراتٌ لما بينهنَّ، وما مِن عبدٍ يَسجدُ للهِ سجدةً. إلاَّ كتبَ اللهُ لَه بها حسنةً، ومحا عنه بها سيئةً، وَرفَعَ له درجةً، وإنَّ العبدَ ليُصَلِّي وخطاياه مرفوعةٌ على رأسِه.. كلما سَجَد سجدةً تساقطَتْ عنه، فيفرُغ مِن صلاتِه وقد تساقطَتْ عنه خطاياهُ).

وقال ﷺ: (أحبُّ الأعمالِ إلى الله الصلاةُ لأوَّلِ وقتِها. وفضْلُ أولِ الوقتِ على آخرِه كفضلِ الآخرةِ على الأولى).

وقال ﷺ: (مَنْ تركَ الصلاةَ مُتَعَمِّداً.. فقد بَرِئَتْ منه الذِّمةُ، ولقي اللهَ وهوَ عليهِ غضبانُ. وقال ﷺ: (بين الرجل وبين الكُفر تركُ الصلاةِ، ولا دِينَ لمَنْ لا صلاةَ له). وقال ﷺ: (مَنْ ترك الصلاةَ متعمِّداً أحبَطَ اللهُ عملَهُ حتى يتوبَ).

بابٌ في ما يُقالُ بعد الصلواتِ

قال ﷺ: (مَنْ سبَّحَ اللهَ بعدَ كلِّ صلاةٍ «ثلاثاً وثلاثينَ» وحَمِدَ اللهَ «ثلاثاً وثلاثين» وكبَّرَ اللهَ «ثلاثاً وثلاثينَ» فتلك تسعٌ وتسعونَ.. وقال تمامَ المائةِ: لا إلٰه إلاَّ وَحدَهُ لا شريكَ لهُ، المُلْكُ، وله الحَمدُ، وهو على كل شيء قديرٌ. غُفِرَت خطاياهُ، وإنْ كانَتْ مثلَ زبَدِ البحرِ). وقال ﷺ: (مَن قال بعدَ الفجر «ثلاثَ مراتٍ» وبعدَ العصرِ «ثلاثَ مراتٍ»، أستغفِرُ اللهَ الذي لا إلٰه إلا هوَ الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه.. غُفِرَتْ ذنوبه وإن كانَتْ مثلَ زَبدِ البحرِ)!

وقال ﷺ: (مَنْ قال إذا صَلَّى الصبحَ، وإذا صَلَّى المغرِبَ ـ قبلَ أن يتكلمَّ ـ: اللهُمَّ أجِرني مِن النار «سبعَ مراتٍ» وماتَ مِن يومِهِ أو ليلتِه.. كتَبَ اللهَ له جِواراً مِن النار).

وقال ﷺ: (مَن قال بعدَ صلاةِ الصُبح: لا إلٰه إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْد.. يُحيي ويُميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ «عشرَ مراتٍ» كتَبَ اللهُ له بهِن عشرَ حسناتٍ، ومحا عنه بِهِن عشرَ سيئاتٍ. ورفَعَ له بهِن عشرَ درجاتٍ، وكان يومَه ذلك في حِرزٍ مِنَ كلِّ مكروهٍ، وحُرِسَ من الشيطانِ حتى يُمسِيَ، ولم يَلحَقْهُ يومئذٍ ذَنْبٌ إلاَّ الشركُ

باللهِ. ومَن قالهُنَّ إذا صَلَّى المغربَ فله مثلُ ذلك حتى يُصبِحَ).

بابٌ في الدُعاء.

قال ﷺ: (الدُعاءُ مُخُّ العبادةِ، ومَن فُتِحَ له بابُ الدُعاءِ.. فُتِحَتْ له أبوابُ الرحمةِ، وما سُئِلَ اللهُ شيئاً أحَبَّ إليهِ مِن أن يُسأَلَ العافيةَ، وإنَّ الدُعاءَ ينفعُ مما نَزَلَ ومما لم يَنْزِلْ، ولا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدُعاءُ). وقال ﷺ: (إذا دعا أحدُكم فَلْيبدأْ بحمدِ الله تعالى، والثناءِ عليه. ثم لِيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ، ثم ليَدْعُ بعدَه بما شاء).

وقال ﷺ: (مَنْ قال: الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.. حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه على كلِّ حال، حمداً يوافي نِعَمَهُ، ويكافِيءُ مَزيدَه.. عَجَزتِ الملائكةُ عن كَتْبِ ثوابِ ذلك).

وقال ﷺ: (مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً.. صلَّى اللهُ عليهِ بها عشرَ صلواتٍ، وحُطَّتْ عنه عشرُ خطيئاتٍ، ورُفِعَتْ له عشرُ درجاتٍ. وأَولى الناسِ بي يومَ القيامةِ.. أكثرُهم عليَّ صلاةً. والبخيلُ مَن ذُكِرْتُ عندَهُ فلم يُصَلِّ عليَّ).

* * *

بابٌ في أذكارِ الصباح والمساءِ

قال رسولُ الله ﷺ: (مَن صلَّى الصبحَ، ثم قعدَ يذكرُ الله تعالى ولم يقُلْ إلاَّ خيراً حتى تطلُعَ الشمسُ، ثم صَلَّى ركعتي الضُحى.. كانت له كأجرِ حَجَّةٍ وعُمرةٍ تامةٍ.. وغُفِرَتْ خطاياه وإن كانت أكثرَ مِن زَبَدِ البحرِ، ووَجبَتْ له الجنةُ، ولم تَمَسَّ جلدَهُ النارُ أبداً).

وقال ﷺ: (مَن قال إذا أصبحَ، وإذا أَمْسَىٰ: بسمِ اللهِ الذي لا يُضرُّ معَ اسْمِهِ شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميعُ العليمُ «ثلاثَ مراتٍ» لم يضرَّهُ شيء).

وقال ﷺ: (مَنْ قال حينَ يُصبِحُ، وحينَ يُمسي «ثلاثَ مراتٍ»: أَعوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ كلِّها من شرِّ ما خَلَقَ.. لم يَضُرَّهُ حيةٌ ولا عقربٌ)!

وقال ﷺ لبعضِ نسائِه ـ وقد خرجَ مِن عندِها حينَ صَلَّى الصبحَ ـ وهي تذكرُ اللهَ، ثم عادَ إليها بعد أن أَضْحى النهارُ وهي على حالِها قال: (لقد قلتُ بعدَكِ أربعَ كلِماتٍ.. ثلاثَ مراتٍ هي أفضلُ مما قُلْتِهِ أنتِ هذا اليومَ.. سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ عددَ خلقِه، ورضا نفسِه، وزنةَ عرشِه، ومدادَ كلماتِه).

وقال ﷺ: (مَن قال إذا أصبحَ، وإذا أمسَى «ثلاثَ مراتٍ»: رَضيتُ باللهِ ربّاً، وبالإِسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبيّاً.. وَجبَتْ له الجنةُ، وكان حقاً على اللهِ أن يُرضِيَهُ يومَ القيامةِ).

وقال ﷺ: (من قال إذا أصبحَ، وإذا أمسَى «ثلاثَ مراتٍ»: اللهمَّ إني أصبحتُ مِنكَ في نِعمةٍ وعافيةٍ وسِترٍ، فأتمَّ نعمتَكَ عليَّ وعافيتَكَ وستَركَ في الدنيا والآخرة.. كان حقاً على الله أن يُتِمَّ عليهِ نعمتَهُ). وقال ﷺ: (مَنْ قال حينَ يُصبحُ أو يُمسي: اللهُمَّ إني أصبحتُ أُشْهِدُكَ، وأُشْهِدُ حملةَ عرشك، وملائكتَكَ، وجميعَ خلقِك، أنك أنت اللهُ لا إلٰه إلاّ أنت، وحدَكَ لا شريكَ لك، وأن محمداً عبدُكَ ورسولُك.. أعتقَ اللهُ ربعَهُ من النار، فمَنْ قالها «أربعاً» أعتقَهُ اللهُ من النارِ).

وقال ﷺ: (مَن قال كلَّ يومٍ حينَ يُصبِحُ وحينَ يُمسي: حَسْبيَ اللهُ لا إلٰه إلاَّ هو عليهِ، توكلتُ، وهو ربُّ العرشِ العظيمِ «سبعَ مراتٍ» كفاهُ الله ما أهمَّهُ مِن أمْرِ الدنيا والآخرة).

وقال ﷺ: (مَنْ قال حينَ يُصبحُ هذه الكلماتِ.. لم يُصِبْهُ في نفسِه، ولا في أهلِه، ولا في مالِه شيء يكرَهُهُ، وهي: اللهم أنت ربي.. لا إلٰه إلاّ أنت، عليكَ توكلتُ، وأنت

ربُّ العرشِ العظيم، ما شاءَ اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكُنْ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ. . أَعلَمُ أنَّ اللهَ على كلِّ شيء قديرٌ، وأنَّ الله قد أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْماً. . اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي، ومِن شرِّ كلِّ دابةٍ أنت آخذُ بناصِيَتها. . (إنَّ ربي على صراطٍ مستقيمٍ).

وقال ﷺ: (سيدُ الاستغفارِ: اللهمَّ أنت ربي. . لا إلٰه إلاّ أنت، خلقَتني وأنا عبدُك، وأنا على عَهدِكَ. ووعْدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أَبوءُ لك بنعمتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي. . فاغفِرْ لي إنه لا يَغفِرُ الذنوبَ إلاّ أنت، مَن قالها مُوقِناً بها حينَ يُمسي، فماتَ مِن ليلتِه وجبَتْ له الجنةُ)!

وقال ﷺ: (مَن قرأ بعدَ كلِّ صلاةِ الفاتحةَ، وأولَ البقرةِ. . . إلى المفلحون، وإلٰهُكُم إلهُ واحدٌ. . . الآيةَ، وآيةَ الكُرسي، وآخِرَ البقرةِ مِن آمنَ الرسولُ، وَشَهُدَ اللهُ أنه لا إلٰه إلاّ هو. . . إلى إنَّ الدِّينَ عندَ الله الاسلامُ، وقُلِ اللهمَّ مالكَ المُلْكِ. . . إلى بغيرِ حسابٍ، أسْكَنَهُ اللهُ الجنةَ، ونظَرَ اللهُ إليهِ سبعينَ نظرةً، وقضى له سبعينَ حاجةً. أهونُها المغفرةُ. ونَصَرَهُ على كلِّ عَدُوٍّ، وأَعاذَهُ منهُم وما بينَهُ وبينَ دخولِ

الجنةِ إلاَّ أَن يموتَ). وقال ﷺ: (أَعظمُ آيةٍ في القرآنِ آيةُ الكُرسي، لا تُقرَأُ في بيتٍ فيه شيطانٌ إلاَّ خرجَ منه، ومَنْ قرأَ آيَةَ الكُرسي بعدَ كلِّ صلاةٍ كان في ذمةِ الله، ولم يمنَعْهُ مِن دخولِ الجنةِ إلاَّ أن يموتَ.. ومَنْ قرأَ الآيتَينِ آخِرَ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كفتاهُ). وقال ﷺ: (من قرأَ: قُل هوَ الله أحدٌ، والمعوِّذَتَينِ حينَ يُصبِحُ وحينَ يُمسي «ثلاثَ مراتٍ» كَفَتْهُ مِن كلِّ شيء، ومَن قرأَ قُل هوَ الله أحد كلَّ يومٍ «عشرَ مراتٍ» بَنى الله له قصراً في الجنة، ومَنْ قرأَها كلَّ يومٍ مائتي مرةٍ مَحَتْ عنه ذنوبَ خمسينَ سنةً! وما استعاذَ أحدٌ بمثلِ قل أعوذُ بربِّ الفلَقِ، وقل أعوذُ بربِّ الناسِ).

وقال ﷺ: (لكلِّ شيءٍ قلبٌ، وقلبُ القرآنِ «يس» فمَنْ قرأَها كان كمن قرأَ القرآن عشرَ مراتٍ! ومَن قرأها في ليلةٍ غُفِرَ له). وقال ﷺ: (مَن قرأَ كلَّ ليلةٍ سورةَ الواقعةِ لم تُصِبْهُ فاقةٌ، ومَن قَرأَ ﴿تَبارَكَ الذي بيدِه المُلْكُ﴾ كلَّ ليلةٍ منعَهُ اللهُ بها من عذابِ القبر).

وقال ﷺ: (قراءةُ سورةِ: ﴿إذا زُلْزِلَت﴾ تعدلُ نصفَ القرآنِ، وقراءةُ: ﴿قُل هوَ الله أحد﴾ تعدلُ ثُلُثَ القرآنِ، وقراءةُ: ﴿قُل يا أيها الكافرون﴾ تَعدُلُ رُبُعَ القرآنِ، وقراءةُ

﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ﴾ تَعدِلُ رُبعَ القرآنِ، وقراءةُ ﴿ألْهاكُم التكاثُر﴾ كقراءةِ ألفِ آيةٍ).

وقال ﷺ: (مَن قرأَ حرفاً مِن كتابِ اللهِ. فله حسنةٌ والحسنة بعَشْرِ أمثالِها، ومَنْ قرأَ القرآنَ وعَمِلَ بهِ.. أُلْبِسَ والداه يومَ القيامة تاجاً.. ضَوؤُه أحسَنُ من ضوءِ الشمسِ، فما ظَنُكم بالذي عَمِلَ بهِ؟ ومَن قرأَ القرآنَ فاستظهَرَهُ، وأَحلَّ حلالَهُ، وحرَّمَ حرامَهُ.. أدخلَهُ اللهُ تعالى الجنةَ، وشفَّعَهُ في عَشْرَةٍ من أهلِ بيتهِ.. كلُّهم قد وجَبَتْ لهم النارُ)!

وقال ﷺ: (لَذِكْرُ اللهِ بالغداةِ والعشِيِّ أفضلُ مِن حَطْمِ بالسيوفِ في سبيلِ اللهِ! ومِن إعطاءِ المالِ سَحًّا، ولا يقعُدُ قومٌ يذكرونَ اللهَ إلاَّ حَفَّتْهُم الملائكةُ، وغَشِيَتْهُم الرحمةُ، ونزَلتْ عليهِم السكينةُ، وذَكَرَهُم اللهُ فيمَن عندَهُ.. ومَثَلُ البيتِ الذي يُذْكَرُ اللهُ فيه، والبيتِ الذي لا يُذْكَرُ اللهُ فيهِ.. مِثْلُ الحيِّ والميِّتِ! وما عَمِلَ العبدُ عملاً أَنجَى له مِن عذابِ اللهِ مِن ذِكْرِ اللهِ).

* * *

آدابُ النومِ

قال النبيُّ ﷺ: (إذا أتيتَ مَضْجعَكَ.. فتوضَّأْ وُضوءَكَ للصلاةِ، ثم اضْطَجِعْ على شِقِّكَ الأيمنِ وقل: اللهمَّ إني أسلمتُ نفسي إليك، ووَجَّهتُ وجهي إليك، وأَلْجأتُ ظهري إليك، وفَوَّضتُ أَمري إليك.. رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأَ ولا مَنْجَى منك إلاَّ إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيِّكَ الذي أرسلتَ. واجعَلْهُنَّ آخِرَ ما تتكلمُ، فإنك إن مُتَّ مِن ليلَتِكَ.. مُتَّ على فِطرَةِ الإسلامِ وإنْ أصبَحْتَ.. أَصَبْتَ خيراً).

وقال ﷺ: (من قالَ ـ حين يأوي إلى فراشه ـ: لا إلٰه إلاّ الله، وحده لا شريك له، لَهُ المُلْكُ، وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلٰه إلاّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله العليِّ العظيمِ.. غُفِرَتْ ذنوبُه، وإن كانتْ مثلَ زَبدِ البحرِ)!

وقال ﷺ: (مَن قال حينَ يأْوي إلى فراشِه.. أستغفِرُ اللهَ الذي لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليهِ «ثلاثَ مراتٍ»، غُفِرَتْ ذنوبُه وإن كانت عَدَدَ أَوراقِ الأشجارِ، وعَدَدَ أيامِ الدُّنيا)!

وقال ﷺ: (ما مِن مُسلِم يأخذُ مضجعَهُ، فيقرأُ سورةً مِن كتابِ اللهِ إلاَّ وكَّلَ الله به مَلَكاً يحفظُهُ مِن كلِّ شيء يؤذيهِ حتى

يَنتَبِهَ مِن نومِه).

وقال ﷺ: (مَن قرأَ آيةَ الكُرسي حينَ يأوي إلى فراشِه.. لم يقربْهُ الشيطانُ حتى يُصبِحَ، ومَن قرأ فاتحةَ الكتابِ، وقل هو اللهُ أحدٌ آمَنَهُ الله مِن كلِّ شيءٍ إلا الموتَ).

وقال ﷺ: (من أَوى إلى فراشِه طاهراً، يَذكرُ اللهَ حتى يغلِبَهُ النعاسُ، لم ينقلبْ ساعةً من الليلِ يسْأَلُ اللهَ خيراً من خيرِ الدُنيا والآخرةِ إلاَّ أعطاهُ إياهُ). وقال ﷺ: (إذا أَوى الرجلُ إلى فراشِه.. ابتدرَهُ مَلَكٌ وشيطانٌ.. فيقول المَلَكُ: اختِمْ بخيرٍ، ويقولُ الشيطانُ اختِمْ بِشَرٍّ.. وإذا استيقظَ قال المَلَكُ: افتحْ بخيرٍ، وقال الشيطانُ: افتح بِشَرٍّ)!

باب في الصدقة

قال ﷺ: (حَصِّنوا أموالكم بالزكاةِ، وداوُوا مَرْضاكُم بالصدقةِ، ومَن كان يؤمنُ باللهِ واليوم الآخِرِ، فليؤَدِّ زكاةَ مالِه. وما مِن صاحبِ ذهبٍ ولا فضةٍ.. لا يؤَدِّي منها حقَّها.. إلاَّ إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحَتْ له صفائحَ مِنْ نارٍ، فأُحْمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ، فيُكْوَى بها جَنْبُهُ وظهرُه، كلَّما بَرَدَتْ أُعِيْدَتْ له).

وقال ﷺ: (مانِعُ الزكاةِ في النارِ، وما تَلِفَ مالٌ في برٍ ولا بحرٍ إلاّ بسبب منع الزكاةِ، وما نقَصَ مالٌ مِن صدقةٍ، بل يَزِيدُ بل يَزِيد)!

وقال ﷺ: (الصَدقةُ تُنَمِّي الرزقَ، وتَزِيدُ في العمرِ والمالِ، والصدقةُ في السرِّ تُطْفِىءُ غضبَ الربِّ، وفي العلانيةِ تُكَفِّرُ الخطيئةَ، وتُذْهِبُ عن صاحبها مائةً وسبعينَ شرًّا.. والصدقةُ تَرُدُّ القضاءَ المُبرَمَ. وقال ﷺ: (ما مِن مُسْلِم يكسو مُسلِماً ثوباً إلاّ كان في ذمةِ اللهِ تعالى ما دامَ عليه منه خِرْقةٌ).

وقال ﷺ: (أفضلُ الصدقةِ أن تتصدَّقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تأملُ الغِنى وتخشى الفقرَ؛ ولأَنْ يَتصدَّقَ المرءُ في حياتِه بدِرْهَمٍ خيرٌ له مِن أن يتصدَّقَ بمائةِ درهم عندَ موتهِ! ولا يُخْرِجُ الرجلُ الصدقةَ حتى يَفُكَّ لِحْيَ سبعينَ شيطاناً).

وقال ﷺ: (لا يقبلُ اللهُ صدقةَ رجلٍ وله ذُو رحِمٍ مُحتاجٌ. والصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ وعلى ذي الرحِمِ اثنتانِ: صدقةٌ وصلةٌ)! وقال ﷺ: (صدقةُ الفِطْرِ مَطهرةٌ للصائِم مِن اللَّغوِ، وشهرُ رَمَضانَ معلَّقٌ بينَ السماءِ والأرضِ.. لا يُرفَعُ إلاّ بزكاةِ الفِطْرِ).

بابٌ في الصيام

قال ﷺ: (إذا دخل رمَضانُ.. فُتِّحَتْ أبوابُ الجنةِ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النارِ، وسلسِلَتْ الشياطينُ، ونادَى منادٍ كلَّ ليلةٍ: يا باغيَ الخيرِ أقْبِلْ، ويا باغِي الشرِّ أَقْصِرْ).

وقال ﷺ: (مَنْ صام رمَضانَ إيماناً واحتساباً.. غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه. ومَن قام رمَضانَ إيماناً واحتساباً.. غُفِرَ له ما تَقدَّم مِن ذنبِهِ. ومَن صام يوماً في سبيلِ اللهِ.. جعلَ الله بَينَهُ وبينَ النارِ خندقاً، كما بينَ السماءِ والأرضِ. الحسنةُ بعَشْرِ أمثالِها إلى سبعِمائةِ ضِعفٍ.. إلاَّ الصومَ قال الله تعالى فإنه لي وأَنا أَجْزي بهِ.. يَدَعَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه مِن أَجلي، ولَخَلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريح المسك)!

وقال ﷺ: (إنَّ في الجَنةِ باباً يقالَ له الريانُ، لا يَدخُلُه إلاَّ الصائمونَ؛ فإذا دخَلُوهُ أُغلِقَ فلم يَدْخُلْ منه أحدٌ. ومَن دخَلَهُ لم يظمأْ أبداً)! وقال ﷺ: (مَن فَطَّرَ صائِماً ولو على تَمْرَةٍ، أو شربةِ ماءٍ، فلَهُ مثلُ أَجرِهِ مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أجرِ الصائِم شيء. ومَن أَشبَعَ صائماً كان ذلك مغفرةً لذنوبه، وسقاهُ اللهُ مِن حوضي شربةً لا يَظمَأُ بعدَها أبداً حتى يَدخُلَ الجنةَ).

وقال ﷺ: (قد جاءَكم شهرُ رمَضانَ، شهرٌ عظيمٌ فيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ. . ومَن تَطَوَّعَ فيه بخصلةٍ من الخير، كان كمن أدَّى فريضةً فيما سواه. ومن أَدَّى فيه فريضةً. . كان كَمَن أدَّى سبعينَ فريضةً فيما سواهُ. ومَن أَفطَرَ يوماً مِن رمَضانَ مِن غيرِ عُذرٍ. . لَمْ يَقْضِ عنه صومُ الدهرِ كلِّهِ، وإن كان صامَهُ)! وقال ﷺ: (مَن صام رَمضانَ، وأَتْبَعَهُ بستٍّ من شوَّالٍ. . كان كصيامِ الدهرِ، وصومُ عاشوراءَ يُكَفِّرُ السَّنَة الماضيةَ، وصومُ عَرفَةَ يكفِّرُ السَّنَة التي قَبْلَها، والسَّنةَ التي بعدَها. . ومَن صامَ مِن كُلِّ شهرٍ ثلاثَة أيامٍ؛ فذلك كصيامِ الدهرِ).

وقال ﷺ: (إنَّ الأعمالَ تُعرَضُ يومَ الإثنينِ والخميسِ. . فأُحِبُّ أن يُعرَضَ عملي وأنا صائمٌ).

وقال ﷺ: (رُبَّ صائمٍ ليس له مِن صيامِه إلاّ الجوعُ والعَطشُ. ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامِهِ إلاَّ السَهَرِ. ومَن لم يَدَعْ قولَ الزُورِ والعمَلَ بهِ، فليس للهِ حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ. فليس الصيامُ من الأكلِ والشربِ إنما الصيامُ مِن اللَغْوِ والرَفَثِ).

بابٌ في الحج

قال ﷺ: (أفضلُ الجهادِ حَجٌّ مبرورٌ، والعمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لِمَا بينَهُما، والحجُ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنةُ. وعمرةٌ في رمضانَ تعدِلُ حجةً معي. ومَن حجَّ فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ رجَعَ من ذنوبه كيوم ولدَتْهُ أمُه).

وقال ﷺ: (مَن طاف بالبيتِ «خمسينَ مرةً» خرج مِن ذنوبه كيومِ ولدَتْهُ أمُه). وقال ﷺ: (مَن استطاعَ الحجَّ فلم يَحُجَّ فليمُتْ إن شاءَ يهودياً، وإن شاء نصرانياً)!

وقال ﷺ: (صلاةٌ في مسجدي أفضلُ مِن ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ إلاَّ المسجدَ الحرامَ. أفضلُ مِن مائِة ألفِ صلاةٍ، ومَن مات بأحدِ الحرمين.. بُعِثَ مِن الآمنِينَ يومَ القيامة، ومَن رآني بعد مماتي فكأنما رآني في حياتي، ومَن رأى قبري كنتُ له شفيعاً يومَ القيامة)!

بابٌ في النكاح

قال رسول الله ﷺ: (الدُنيا متاعٌ، وخَيرُ متاعِها امرأةٌ صالحةٌ. تُعِينُ زوجَها على الآخِرةِ، مِسْكِينٌ مِسْكينٌ رجلٌ لا امْرَأَةَ له، مِسْكِينةٌ مِسْكينةٌ امرأةٌ لا زوجَ لها، وما استفادَ

المؤمنُ بعدَ تقوَى اللهِ خيراً من زوجةٍ صالحةٍ. . إنْ أَمَرَها أطاعَتْهُ، وإنْ نظرَ إليها سَرَّتْهُ، وإنْ أقسَمَ عليها أبرَّتْهُ، وإنْ غابَ عنه نَصَحَتْهُ في نَفسِها ومالِه، ومَن رَزَقَهُ اللهُ امرأةً صالحةً فقد أعانَهُ على شَطْرِ دِينِه، فليتَّقِ اللهَ في الشطرِ الباقي). وقال ﷺ: (النظرةُ سهمٌ مسمومٌ من سِهامِ إبليسَ، ومَن ترَكَها مِن مَخافةِ اللهِ. . أبدَلَهُ اللهُ إيماناً يَجدُ حلاوَتَهُ في قلبِهِ، وما مِنْ نظرَةٍ إلاَّ وللشيطانِ فيها مَطْمَعٌ، ولا يَخْلُو رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ كان ثالثَهُما الشيطانُ).

بابٌ في حقوقِ الزوجِ

قال ﷺ: (إذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَها، وصامَتْ شَهرَها، وحفِظَتْ فَرجَها، وأطاعَتْ زوجَها. . قِيلَ لها ادْخُلي مِن أيِّ بابٍ في الجنةِ شِئْتِ. ولو كنتُ آمِراً أحداً أن يَسْجُدَ لأحَدٍ، لأمَرْتُ النِساءَ أنْ يَسْجُدْنَ لأزواجِهنَّ؛ لِمَا جَعلَ اللهُ لهُم عليهِنَّ مِن الحقوقِ. ولا يَحِلُّ لامْرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ. . أن تصومَ وزوجُها حاضرٌ إلاّ بإذنِه، ولا تأذَنْ في بيتِه إلاّ بإذنِه، ولا تَخْرُجْ من بيتِه إلاّ بإذنِه؛ فإنْ فَعَلْتَ شيئاً مِن ذلك لَعَنَتْها الملائكةُ حتى تَتْرُكَ، وإذا دعا الرجلُ امْرأَتَهُ إلى فراشِه فلم تُجِبْهُ؛ فباتَ عليها غضبان. . لَعَنَتْها الملائكةُ حتى تُصبِحَ).

بابٌ في فضيلةِ النفقةِ على الأولادِ، وصلةِ الأرحامِ

قال ﷺ: (أفضلُ دينارٍ يُنفِقُهُ على أصحابِه. وما أطعَمْتَ نفسَك فهو لك صدقةٌ. وما أطعَمْتَ به وَلَدَك فهو لك صدقةٌ. وما أطعَمْتَ به زوجتَك فهو لك صدقةٌ. وما أطعَمْتَ به خادِمَك فهو لك صدقةٌ. وكفى بالمرءِ إثماً أن يضيِّع مَن يَعولُ).
وقال ﷺ: (مَن ابتُلِيَ بشيءٍ من هذه البناتِ، فأحسنَ إليهِنَّ، وصَبَر عليهِنَّ.. كُنَّ له ستراً مِن النار. ومَن عال ابنتَين، أو ثلاثاً، أو أُختَينِ، أو ثلاثاً حتى يَبْلُغْنَ أو يُغنِيَهُنَّ الله، أو يَمُتْنَ أو يموتُ عنهُنَّ، كان رفيقي في الجنةِ، ومَن كفَلَ يتيماً ذا قرابةٍ، أو لا قرابةَ له.. كان رَفيقي في الجنةِ، ومَن سَعَى على ثلاثةٍ مِن العيال.. فهو في الجنةِ، وكان له كأجر مجاهدٍ في سبيلِ الله. ومَن كانت له أُنثَىٰ ولم يُهِنْها، ولم يُؤثِرْ أولادَهُ الذكورَ عليها أدخلَهُ اللهُ الجنةَ).

وقال ﷺ: (مَن ضربَ مملوكاً ظُلْماً اقتَصَّ منه يومَ القيامة، ولا يدخل الجنةَ سَيِّءُ المِلْكَةِ، فأَكْرِموا خَدَمَكم كرامةَ أولادِكم، وأَطْعِموهُم مِمَّا تأكلونَ؛ فإنَّهُم إخْوانُكُم.. فَضَّلَكُم اللهُ عليهِم، فمَنْ كان أخوهُ تحتَ يدِهِ، فليُطْعِمْهُ مِمَّا

يَطْعَمُ، ويُلْبِسْهُ مما يَلْبَسُ، ولا يُكَلِّفْه مِن العمَلِ مَا لا يُطِيقُهُ).

وقال ﷺ: (إتَّقوا اللهَ في هذهِ البهائِم؛ فإنَّ امْرَأَةً دخَلَتِ النارَ في هِرَّةٍ. . حَبَسَتْها حتى ماتت. . لا هِيَ أطعَمَتْها، ولا تَرَكَتْها تأْكُلُ مِن خَشاش الأرضِ).

وقال ﷺ: (أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ. . الصلاةُ لوقتِها، ثُمَّ برُّ الوالدين. . ومَن بَرَّ والِدَيْهِ زادَهُ اللهُ في عُمُره، ورِضا اللهِ في رضا الوالدَيْنِ، وسَخَطُ اللهِ في سَخَطِهِما. وثلاثةٌ حَرَّمَ اللهُ عليهِم الجنةَ: العاقُ لوالدَيْه، ومُدْمِنُ الخمرِ، والدَيُّوثُ. وأَكبرُ الكبائرِ ثلاثٌ، الشركُ باللهِ، وعقوقُ الوالدَينِ، وشهادةُ الزورِ).

وقال ﷺ: (مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليُكْرِمْ ضيفَهُ). وقال ﷺ: (مَن كان يؤمنُ باللهِ واليوم الآخِرِ فلْيَقُل خيراً أَوْ لِيَصْمُتْ، وصلةُ الرحمِ تَزِيدُ في العُمرِ والمالِ، وتَدفَعُ مِيتةَ السوءِ، وتَدفَعُ المكروهَ والمحذور، ومَن وَصَلَ رحمَهُ وَصلَهُ اللهُ، ومَن قَطعها قطعَهُ اللهُ، ومَن قطَعَ رحمَهُ حَرَّمَ اللهُ عليهِ الجنةَ، وإنَّ الرحمةَ لا تَنْزِلُ على قومٍ فيهِم قاطعُ رَحِمٍ).

وقال ﷺ: (واللهِ لا يدخُلُ الجنةَ مَن لا يأمَنُ جارُه شَرَّهُ، ومَن آذَى جارَهُ فقد حاربَ الله).

وقال ﷺ: (قال الله تعالى: وجَبَتْ محبتي للمتحابِّينِ فِيَّ، والمتجالِسِينَ فيَّ، والمتزاوِرينَ فِيَّ، والمتباذلينَ فِيَّ).

وقال ﷺ: (لا تَقَاطَعوا، ولا تَدَابَروا، ولا تَبَاغَضوا، ولا تَحاسَدوا.. وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً. ولا يَحِلُّ لمسلِم أن يَهجُرَ أخاهُ المسلِمَ فوقَ ثلاثٍ).

* * *

آداب المعاش

قال ﷺ: (لأَن يحتَطِبَ أَحدُكُم حُزمةً على ظَهرِهِ. . خيرٌ له مِن أن يسأَلَ الناسَ. . أعطَوْه أو منَعوه، وما أَكَلَ أحدٌ طعاماً أفضلَ مِن أن يأكُلَ مِن عَمِلِ يدِه، وما أَكَلَ الرجُل كَسْباً أطيبَ مِن عَملِ يدِه، وإنَّ اللهَ يُحِبُّ المحترفَ).

وقال ﷺ: (طلبُ الحلالِ واجبٌ على كلِّ مُسْلِمٍ، ومَن نبَتَ لحمُه مِن حَرامٍ. . فالنارُ أولى بهِ. وإن اللهَ تعالى أكرمُ مِن أن يَقبَلَ عَملَ رجُلٍ، أو صلاتَهُ وعليهِ ثوبٌ حرامٌ. فمَنْ لبِسَ ثوباً مِن حرامٍ لم تُقبَلْ صلاتُه؛ حتى يُنَحِّيَ ذلك الثوبَ عنه! ومَنِ اشترى ثوباً بعشرةِ دراهِمَ، وفيها دِرْهَمٌ مِن حرامٍ. . لم تُقبَلْ صلاتُهُ ما دامَ عليهِ، ومَنِ اشترَى سَرْقةً وهو يَعلَمُ أنها سَرْقةٌ. . فهو شريكٌ في إثمِها وعارِها! ولا تغبِطَنَّ جامعَ المالِ مِن غيرِ حِلِّهِ؛ فإنَّهُ إنْ تَصدَّقَ بهِ لم يُقبَلْ مِنه، وإذا أنفقَ منه لم يُبارَك له فيه، وإنْ خَلَّفَهُ بعدَه كان زادَهُ إلى النارِ).

وقال ﷺ: (رَحِمَ الله عبداً سَمْحاً إذا باع، سَمحاً إذا اشتَرى، سَمحاً إذا قَضَى. ومَن أَقالَ مُسلِماً بَيْعتَهُ أقالَ الله عَثرتَهُ يومَ القيامة).

وقال ﷺ: (التاجرُ الصَدوقُ تحتَ ظِلِّ العرشِ يومَ

القيامةِ. وإذا صَدَقَ البَيِّعانِ، وبَيّنا.. بورِكَ لهما. وإنْ كَذَبا، وكَتَما.. مُحِقَتْ بَركَتُهُما. واليمينُ منفقةٌ للسِلعةِ، مُمْحِقَةٌ للمالِ. ومَن غَشَّ المسلمينَ فليس منهم! ومَن غَشَّنا فليسَ مِنَّا. والمكرُ والخديعَةُ والخِيانةُ في النار. ولا يَحِلُّ لأحَدٍ أن يبيعَ شيئاً إلاَّ بيَّنَ ما فيه، ولا يَحِلُّ لِمَنْ علِم عَيْباً أَنْ لا يُبيِّنَه، ومَن باع مَعِيباً ولم يُبيِّنْهُ لم يزَلْ في مقتِ اللهِ، ولم تَزلِ الملائكةُ تلعنُهُ. ومَنِ احتَكَرَ طعاماً أربعينَ ليلةً فقد بَرِىءَ مِنَ اللهِ، وبَرِىءَ اللهُ منه. ومَن احتكَرَ على المسلمينَ طعامهم ابتلاه اللهُ بالإفلاسِ والجِذامِ).

وقال ﷺ: (لعنَ الله آكِلَ الربا، وموكلَهُ، وكاتِبَهُ، وشاهِدَهُ إذا عَلِموا به، والرِبا ثلاثةٌ وسبعونَ باباً.. أيسرُها مثلُ أن يزنِيَ الرجلُ بأُمِه! ودِرهَمٌ يُصيبُهُ الرجلُ مِن الربا أعظمُ عندَ اللهِ من ثلاثٍ وثلاثينَ زنيةً في الإسلام).

وقال ﷺ: (الصدقةُ بعَشْرِ أمثالِها، والقِرْضُ بثمانيةَ عَشَرَ. ومَن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليهِ في الدُنيا والآخِرةِ، ومَن أَنظَرَ مُعسِراً فلهُ بكلِّ يوم مثلهُ صدقة. ومَن نَفَّسَ عن مُسلمٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ. ومَن يَسَّرَ على مُسلمٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُنيا

والآخِرةِ. ومَن ستَرَ على مُسلمٍ ستَرَ اللهُ عليهِ في الدُنيا والآخِرةِ. واللهُ سُبحانَه وتعالى في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عَونِ أخيهِ).

وقال ﷺ: (مَن أصبَحَ وَهمُّهُ الدُنيا.. شَتَّتَ اللهُ عليهِ أمرَهُ، وجعلَ الفقرَ بينَ عَينَيْهِ، ولم يأْتِهِ مِنَ الدُنيا إلاَّ ما كَتَبَ اللهُ له، ومَن أصبَحَ وهَمُّهُ الآخِرةُ، جمعَ اللهُ له ما أَهمَّه، وجعَلَ غِناهُ في قلبِه، وأَتَتْهُ الدُنيا وهي راغِمةٌ).

* * *

آدابُ الطعام

قال ﷺ: (مَن أَكلَ طعاماً فليذكُرِ اسْمَ اللهِ عليهِ؛ فإنَّ الشيطانَ يَستَحِلُّ الطعامَ الذي لم يُذْكَرِ اسمُ اللهِ عليه! فاجتَمِعوا على الطعام، واذكروا اسمَ اللهِ عليه.. يُبارَكْ لكم فيهِ؛ فإنَّ أحبَ الطعامِ إلى الله ما كَثُرَتْ عليه الأيدِي، ومَن أَحَبَّ أن يُكَثِّرَ اللهُ خيرَ بيتِه؛ فليَغْسِلْ يدَه قبلَ الطعامِ وبعدَه.. فإنه بَركةٌ، فإنَّ إكرامَ الطعام غسلُ اليدِ قَبلَهُ وبعدَه. ومَن نام قبلَ أن يغسِلَ يدَه، فأصابه شيء فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسَه. وإنَّ البركةَ تنزلُ وسْطَ الطعامِ.. فكُلُوا مِن جَوانِبِه، ولا تأكُلُوا من وَسْطِهِ).

وقال ﷺ: (ليأكُلْ أحدُكم بيمينه، ويشربْ بيمينِه، ويُعْطِ بيمينه؛ فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشِمالِه، ويشربُ بشِماله، ويأخُذُ بشِمالِه، ويُعطي بشِمالِه! وإذا أَكَلَ أحدٌ طعاماً. فليلْعَقْ أصابعَه؛ فإنه لا يدري في أيِّ طعامِه البركَةَ، ولا يرفَع الصحفةَ حتى يَلْعَقَها؛ فإنَّ في آخر الطعامِ البركَةَ).

وقال ﷺ: (إنَّ اللهَ ليرضَى عن العبدِ.. يأكلُ الأُكْلَةَ فيحْمَدُه عليها، ويشربُ الشربةَ فيحمَدُه عليها.. فمَن أكَلَ فشبِعَ، وشرِبَ فروِيَ.. ثم قال: الحمدُ لله الذي أطعمني

هذا الطعام، وأشبَعَني وأسقاني وأَرواني. . خرجَ مِن ذنوبهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أمُه، ومَن أكلَ طعاماً فقالَ: الحمدُ للهِ الذي أطعمني هذا الطعامَ ورزقنِيهِ من غيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ. . غَفَرَ الله له ما تقدَّم من ذنبِهِ، ومَن لَبِس ثوباً جديداً فقال: الحمدُ للهِ الذي كساني هذا الثوبَ، ورزقني إياهُ من غيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ «غفَرَ اللهُ له ما تقدَّم من ذنبِه).

* * *

آدابُ الصحبةِ

قال ﷺ: (أطعِموا الطعامَ، وأَفشوا السلامَ، وَصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناسُ نيام، وأطِيْبوا الكلام.. تدخلوا الجنةَ بسلام). وقال ﷺ: (مَن قال: السلامُ عليكم. كتَبَ الله له عشْرَ حسناتٍ. ومَن قال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله كتَبَ الله له عِشرينَ حسنةً. ومَن قال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه. كُتِبَ له ثلاثون حسنة).

وقال ﷺ: (من صنعَ إليكم معروفاً فكافئوه ـ وتصافَحوا يَذهبِ الغِلُّ من قلوبكم، وتهادُوا تحابُّوا.. وما مِن مُسلِمَيْنِ يلتقيانِ، فيتصافحانِ.. إلاَّ غُفِرَ لهما قبلَ أن يَتفرَّقا).

وقال ﷺ: (إذا أتيتمُ البيوتَ فاستأذِنوا، فإِنْ أُذِنَ لكم فادْخلوا وإلاَّ فارجِعوا، ومَنِ اطَّلعَ في بيتِ قومٍ بغيرِ إِذْنِهم، فقد حلَّ لهم أن يفقَؤوا عينَه. ومَن تسمَّعَ لحديثِ قومٍ وهم له كارِهُونَ؛ صُبَّ في أُذُنَيْهِ الرَّصاصَ المُذابُ يومَ القيامةِ).

وقال ﷺ: (ثلاثٌ لا يَحِلُّ مَنعُها.. والناسُ فيها شركاءُ، الماءُ، والمِلْحُ، والنارُ. فمَن سَقَى مُسلِماً شربةً مِن ماءٍ حيثُ يوجَدُ الماءُ، فكأنما أعتقَ رقبةً. ومَن سقَى مؤمناً شربةً مِن ماءٍ حيثُ لا يوجَدُ الماءُ، فكأنما أحيى نفساً! ومَن أعطى ناراً،

فكأنما تصدَّقَ بجميع ما أَنضَجَتْ تلك النارُ. . مِن لحم، أو خُبزٍ، أو قهوةٍ. . ففضِيلَتُهُ له. ومَن أعطَى مُسلماً مِلْحاً، فكأنما تصدَّقَ بجميع ما طُيِّبَ به ذلك).

وقال ﷺ: (مَن فتح على نفسِهِ بابَ مسألة من غيرِ حاجةٍ، فتحَ اللهُ عليهِ بابَ فاقةٍ! ومَن سَأَلَ مِن غيرِ فقرٍ، فكأنما يأكلُ الجمرَ. وملعونٌ مَن سَأَلَ بوجهِ اللهِ، وملعونٌ مَن منعَهُ، ما لم يَسْأَلْ أمراً قبيحاً).

وقال ﷺ: (لا تُكْثِروا الضَحِكَ؛ فإنَّ كَثرةَ الضَحِكِ تُمِيتُ القلبَ، وتَذهَبُ بنورِ الوجهِ. ولا تُكْثِروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ اللهِ؛ فإنَّ كثرةَ الكلامِ بغير ذِكرِ اللهِ تُقَسِّي القلبَ، والقلبُ القاسي بعيدٌ مِن الله)!

وقال ﷺ: إتقِ المحارِمَ تَكُنْ أعبدَ الناسِ. وارضَ بما قسمَ اللهُ لك تَكُنْ أغنى الناسِ. وأحْسِنْ إلى جارِك تَكُنْ مسلِماً، وأَحِبَّ للناسِ ما تُحِبُّ لنفسِك تكُنْ مُؤمناً).

وقال ﷺ: (طوبى لِمَنْ مَلَكَ لسانَه، ووَسِعَه بيتُه، وبَكى على خطيئَتِهِ. ومِن حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ، ومَن كفاهُ اللهُ شرَّ ما بينَ لِحْيَيْهِ، وما بينَ رِجْلَيْهِ دخلَ الجنةَ. وإنَّ الرَجُلَ ليتكلمُ بالكَلِمَةِ لا يَرى بها بأْساً. . يَهوِي بها في النارِ

سبعينَ خريفاً! وأكثرُ الناسِ ذنباً أكثرُهم كلاماً فيما لا يَعْنِيه).

وقال ﷺ: (لَعْنُ المؤمِنِ كقَتْلِهِ. وسِبابُ المُسْلِم فسوقٌ. وقتالُهُ كُفْرٌ. ومَن لعنَ شيئاً ليسَ أهلاً لِلعنَةِ رجعتِ اللعنةُ على اللاعِن! فلا تلاعَنوا بلعنةِ الله، ولا بغضبِه ولا بالنار).

وقال ﷺ: (لا تَدْعوا على أنفسِكم، ولا على أولادِكم، ولا على خدمِكم، ولا على أموالكم.. فربما وافقتْ ساعةَ الإجابة).

وقال ﷺ: (علامةُ المنافقِ ثلاثٌ، إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمن خان).

وقال ﷺ: (ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ فهوَ منافقٌ.. وإن صامَ وصلَّى وزعمَ أنه مُسْلِمٌ! مَنْ إذا حَدَّث كَذَب، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمن خان).

وقال ﷺ: (الغِيبَة أشدُّ من الزِنا، لأَنَّ الرجلَ قد يزني ثم يتوبُ فيتوبُ الله عليه.. وإنَّ صاحبَ الغِيبَةِ لا يُغفَرُ له حتى يَغفِرَ له صاحبُه. وإن المُفْلِسَ مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ؛ ويأتي وقد شَتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دَمَ هذا، فيُعطَى هذا مِن حسناتِه، وهذا مِن حسناتِه، ثم يؤخَذُ مِن خطاياهُم فتُطرَحَ عليه.. ثم يُطْرَحَ في النار).

وقال ﷺ: (الغِيبةُ هي ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْره. فإنْ كأن فيه ما تقولُ فقدِ اغْتَبْتَهُ، وإن لم يكُنْ فيه ما تقولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ، ومَن ذكَرَ مُسلماً بما ليسَ فيه كان حقاً على اللهِ أن يَحبِسَهُ في نارِ جهنَّمَ.. حتى يأتي على سيئات ما يقول).

وقال ﷺ: (لا يدخلُ الجنةَ نَمَّام. وشِرارُ أمتي الذين يمشون بالنميمة ويُفْسِدونَ بينَ الأحبةِ. وإصلاحُ ذاتِ البَيْن أفضلُ من الصيامِ والقيام والصدقةِ. وإفسادُ ذاتِ البَيْن هيَ الحالقة التي تحلق الدِّين). وقال ﷺ: (كلٌّ ابنِ آدَمَ خطَّاءٌ.. وخيرُ الخطائينَ التوّابون. ولو أَذنَبتمْ حتى تبلُغَ خَطاياكُم السماءَ، ثمَّ تُبتُمّ إلى اللهِ لَتابَ عليكم؛ فإنَّ اللهَ يَقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ. والتائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له).

وقال ﷺ: (إتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأَتْبعِ السيئة الحسنة تَمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُق حسَن). وقال ﷺ: (مَن قَعدَ مَقعَداً لم يَذْكُرِ اللهَ فيه كان عليهِ حسرةً يومَ القيامةِ. ومَن جلسَ مَجلِساً فقال قبلَ أن يقومَ منه: سُبحانَك اللهُمَّ وبحَمْدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلاّ أنت، أستغفِرُك وأتوبُ إليك. غُفِرَ له ما كان في مَجلِسِه).

القِسمُ الثّالِثُ
في السِّيرةِ النّبويّةِ والأمورِ الأُخرويّةِ

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ وسلَّم أجمعين.

بابٌ في الإيمانِ باللهِ تعالى

(أَشهدُ) أَن اللهَ تعالى حَيٌّ قَيُّوم، سميع بصير، مريد متكلِّمٌ، مَنزَّهٌ عن مُشابَهةِ المخلوقِينَ. ليس كمثلِه شيءٌ، وهوَ السميعُ البصير. . لم يَلِدْ ولم يُولَد، ولم يكُن له كُفواً أحد، جامعٌ لكلِ كمالٍ، مُنَزَّهٌ عن كلِّ نَقْصٍ. واحدٌ لا شريكَ له؛ قديم لا مبدأ له؛ دائم لا آخِرَ له. بل هو الأولُ والآخِرُ؛ فليس بعدَه شيء. خَلَقَ الزمانَ والمكانَ، وخلَقَ الخلْقَ وأعمالَهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالَهم. له السلطانُ والقهر. وله الخلْقُ والأمر. يعلمُ السِرَّ وأخفى. ويرى دبيبَ النملةِ السوداءِ في الليلةِ الظلماءِ. ويَطَّلعُ على هواجسِ الخواطِر.

ولو اجتمعَ الإنسُ والجنُ والخلقُ كلُّهم على أن يَنفعوا أَحداً أو يَضرُّوه. أو يُعطُوه أو يَمنَعوه. أو يحرِّكوا شيئاً أو يُسكِّنوه. وَلَم يشأْ سبحانَه وتعالى ذلك، لَعَجِزوا كلُّهم؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكُن. ولا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله.

(وأشهدُ) أنَّ محمداً عَبدُهُ ورسولُه.. الذي مَنَّ به على المؤمنينَ. وجعَلَهُ سيِّدَ المُرسَلين، وخاتِمَ النبيين. ورسولاً إلى الإنسِ والجنِّ أجمعين، وأنزَلَ عليه القرآنَ العظيمَ، وأَلزَمَ الخلْقَ تَصديقَهُ وطاعتَهُ فيما جاءَ به مِن أَمْرِ الدين والدُنيا والآخِرة.

(وأَشهدُ) أن النبيينَ حقٌ، وأنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌ، وأن لقاءَ الله حقٌ، وأن يومَ القيامةِ حقٌ، وأن سؤالَ القبرِ وفتنَتَهُ ونعيمَهُ وعذابَهُ حقٌ، وأَنَّ القيامةَ والحسابَ حقٌ، والميزانَ حقٌ والصراطَ حقٌ، والحوضَ حقٌ، والشفاعةَ والجنةَ والنارَ حقٌ. وأن اللهَ يَبعثُ مَن في القبورِ.

(ونعتقدُ) أنَّ نبيَّنا محمداً ﷺ وسائرَ النبيينَ صلَّى الله وسلَّم عليهِم أجمعين، بَشَرٌ مِن بَني آدَمَ مثلُنا، ولكنَّ اللهَ مَنَّ عليهِم وأكرمَهم بالصفات الجميلة، مِن كمالِ الخَلْقِ؛ والنُّبوَّةِ ثم الرسالةِ والعلم والحلم والصبر والشكرِ والزهدِ والعفةِ

والحياءِ والرحمةِ وغير ذلك، إلى ما أَعَدَّ لَهُم في دارِ النعيم من الفوزِ العظيم.

(ونعتَقدُ) أن نبيَّناً محمداً ﷺ سيدُ الأنبياءِ وأكرمُ الخَلْقِ على الله سُبحانَه وتعالى، وأنه يجبُ على جميع الخلْقِ تَعظيمُهم، واكرامُهم، واحترامُهم، فمن استخفَّ بأحدٍ منهم، واستهانَ به، أو اعتقدَ نقصَهُ.. فهو كافرٌ خارجٌ عن الدين، مفارق للمسلمين.

(ونعتقدُ) أنَّ مِن جُملةِ تعظيمِ النبيِّ ﷺ تعظيمَ أصحابِهِ كلِّهِم - رضي اللهُ عنهم أَجمعينَ - ومحبتَهم وتصديقَهم واتِّباعَهم فيما نَقَلُوه من أمْرِ الدين، وأن أفضلَهم أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ ابنُ أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين -.

(ونعتقدُ) أَن مذاهبَ الائمةِ الأربعةِ كلَّها على سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وهم الشافعيُّ، وأبو حنيفةَ ومالكٌ، وأحمدُ رَحِمَهم الله، ومَن تَبِعَهم، ومَن أَخَذوا عنهم مِن أهلِ السُنَّة - وأنَّ مشايخَ السادةِ الصوفية، وهم الجنيدُ، وسهلُ بنُ عبدِ اللهِ، وابراهيمُ بنُ أدهم، وأتباعهُم ومَن أخذوا عنهم، على هُدًى من رَبِّهم. وأنَّ مذاهبَ الإسماعيليةِ، والرافضةِ، والزيديةِ،

وسائرِ المبتدعين المخالفين لإجماعِ أهلِ السُنَّةِ باطلٌ وضلالٌ، وأنَّ عُصاةَ المؤمنين لا يُخَلَّدونَ في النارِ، وأنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به، ويَغفِرُ ما دونَ ذلك لِمن يَشاءُ، ومَنْ يَبْتَغ غير الإسلامِ ديناً فلن يُقبَلَ منه، وهُوَ في الآخِرةِ مِن الخاسرين.

* * *

بابٌ في ابتداء الخلق

ذَكَرَ أهلُ التواريخ.. أنَّ أولَ ما خَلَقَ اللهُ سبحانَه وتعالى..
نورُ نَبِيِّنا محمدٍ ﷺ.. مِن قَبْلِ أن يخلُقَ آدم بمائةِ ألفِ عامٍ! ثم خَلَقَ مِن ذلك النور جميعَ المخلوقاتِ، فخلقَ القلم واللوحَ المحفوظَ، وأَمَر القلَم أن يكتُبَ في اللوح كلَّ ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، ثم خلَقَ العرشَ العظيمَ، ثم الكُرسِيَّ، ثم خلَقَ السمٰواتِ السبعَ وما فيها مِن الملائكةِ، والشمسِ، والقمرِ، والنجوم، وفي كلِّ سماءٍ من جنودِ الملائكةِ ما لا يَحْصِي عددَهم إلاَّ الله سُبحانَه وتعالى، وهم يسبِّحون الليلَ والنهارَ لا يَفتُرُون.. لا يَعصونَ اللهَ ما أمرَهم، ويفعَلون ما يؤمَرون، ومِن جُملتِهم جبريلُ، وميكائيلُ، وإسرافيلُ، وعزرائيلُ عليهِم السلامُ. ثم خلَق الأرضَ وما فيها من الجبالِ، والبحارِ، والأشجارِ، والأنهارِ، وغيرِ ذلك، وجعلَ جبلَ قافٍ محيطاً بالبحرِ المحيطِ، والبحرَ المحيطَ محيطاً بجميع الدُنيا، ومِن جَبلِ قافٍ إلى قافٍ مسيرةُ خمسِمائةِ عامٍ. وبينَ الأرضِ وسماءِ الدنيا مسيرةُ خمسِمائِة عام.. وبينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ أخرى مسيرةُ خمسِمائةِ عامٍ، والكرسيُّ والسبعُ سموات والأرض كلُّها لو وُضِعَتْ فيه لَوَسِعَها! والعرشُ أَعظمُ

من الكرسيِّ بأضعافٍ كثيرةٍ، واللهُ سُبحانَه وتعالى أعظمُ مِن كلِّ عظيم، وأكبرُ من كلِّ كبير، ثم خَلَقَ اللهُ آدمَ عليه السلامُ بيدِه، وأسكنَه الجنةَ.. وهي فوقَ السمٰواتِ السبعِ، ثم خلَقَ حَوَّاءَ عليها السلامُ مِن ضِلَعٍ من أضلاعِه، وزَوَّجَهُ إيّاها، ثم أخرَجَهما إلى الأرضِ، لَمَّا أغواهم إبليسُ لعنَهُ اللهُ. وأكلا مِنَ الشجرةِ التي نَهاهُما اللهُ عنها، ثم تابَ عليهِما، وغَفَرَ لهما، ثم لم يزَلْ أولادُهما يَتناسَلُون.. فمنهم المؤمنُ، ومنهم الكافرُ، ومنهم الطائعُ، ومنهم العاصي، ومنهم الشقيُّ، ومنهم السعيدُ، ولم يَزلْ نورُ نَبيِّنا محمدٍ ﷺ يَنتقلُ في أصلابِ ذريةِ آدمَ.. فانتقلَ منه إلى صُلْبِ شِيثِ بنِ آدمَ، ثم في نَسْلِه، ثم في صُلب النبيِّ إدريسَ عليهِ السلامُ ونَسْلِهِ ثُمَ في صُلب النبيِّ نوحٍ عليه السلامُ ثم في نَسْلِه، ثم في صُلبِ النبيِّ هودٍ عليهِ السلامُ، ثم في نَسْلِه، ثم في صُلبِ النبيِّ إبراهيمَ عليه السلامُ، ثم في صُلبِ النبيِّ اسماعيل بنِ إبراهيمَ عليهما السلامَ، ثم في نَسْلِهِ إلى أن صار إلى صُلبِ عبدِ الله أبي النبيِّ ﷺ.. وهوَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ المطَّلِب بن هاشمٍ، وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشٌ من كِنانَةَ، وكِنانَةُ مِن عدنانَ، وعدنانُ مِن نَسْلِ النبيِّ إسماعيل بن إبراهيمَ، وإبراهيمُ من نَسلِ النبيِّ هودٍ وهودٌ من نَسلِ النبيِّ نوحٍ، ونوحٌ من نَسلِ

النبيِّ إدريسَ، وإدريسُ من نَسلِ النبيِّ آدمَ أبي البشرِ ـ عليهم السلام ـ وجملةُ الأنبياءِ مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرونَ ألفَ نبيٍّ.. أَولُهُم آدمُ وآخِرُهم نبيُّنا محمدٌ خاتمُ النبيينَ ﷺ وعليهِم أجمعين. ومِن جملةِ الأنبياءِ المُرسَلين.. آدمُ، ومحمدٌ، وإدريسُ، ونوحٌ، وهودٌ، وصالحٌ، وإبراهيمُ، وإسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، وإسحاقَ بن إبراهيمَ، ويعقوب بن إسحاقَ، ويوسفُ بن يعقوبَ، ولوطُ، وأيوبُ، وشعيبٌ، وموسى وأخوه هارونُ، وداودُ، وسليمانُ بنُ داودَ، وإلياسُ، واليسعُ وذو الكفلُ ويونسُ، وزكرياءُ، ويحيى بنُ زكرياءَ، وعيسى ابنُ مريمَ صلى الله وسلَّم عليهِم أجمعين، وعاش آدمُ عليهِ السلامُ ألفَ سَنةٍ وعاش نوحُ ألفَ سَنةٍ، وبينَ آدمَ ونوحٍ ألفَ سَنةٍ، وبينَ نوحٍ وإبراهيمَ نحوَ ألفَي سَنةٍ، وبين إبراهيمَ وموسى نحوَ ألفِ سَنةٍ، وبين موسى وعيسى نحو ألفي سَنةٍ، وبين عيسى ومولِدِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ وعليهِم أجمعينَ نحوَ ثمانمائةِ سنة، وبينَ موتِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ وعامِنا هذا، وهو عامُ ألفِ وأربعمائة وخمسة عشرَ من الهجرة نحوَ ألفِ وأربعمائة وخمس من السنوات[1] والله أعلم.

---

(١) وهذا بحسب تاريخ طباعة هذا الكتاب المبارك.. فليلاحظ.

باب في مولدِ النبيِّ ﷺ

قال رسولُ الله ﷺ: (أَنا محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطَّلِبِ بن هاشم، ولمَّا خلَقَ اللهُ آدمَ عليهِ السلامُ، أهبطني في صُلبِه إلى الأرض، ثم في صُلبِ نوحٍ، ثم في صُلبِ إبراهيمَ، ولم يَزلْ يُنَقِّلُني من الأصلابِ الكريمة إلى الأرحامِ الطاهرةِ، ولم يُصِبْني شيْءٌ مِن زِنا الجاهليةِ، حتى خرَجْتُ من بينِ أَبَوَيَّ مِن نكاحٍ، ولم أَخرُجْ مِن سِفاحٍ.. فأنا خيرُكم نَفْساً، وخيرُكم أباً، وأمُّ النبيِّ ﷺ هي آمنةُ بنتُ وهبٍ، سيدةُ نساءِ قريشٍ يومَئِذٍ، تزوَّجَها أبوه عبدُ الله وهوَ ابنُ عشرينَ سنةً، ومات وهي حاملٌ بالنبيّ ﷺ.

ولد النبيُّ ﷺ بمكَةَ سَحَرَ يومِ الإثنين ثاني عَشرَ من ربيع الأولِ، ووقعَ مُعتَمِداً على يديهِ (كَفَّيهِ)، رافعاً رأسَهُ إلى السماء، نظيفاً طيِّباً ليس به دَمٌ ولا قذرٌ، مختوناً مقطوعَ السُّرَةِ، مدهونا، وامتلأَ بيتُ أمِه نوراً.

وفي ليلةِ مولدِه الشريفِ انشقَّ قصرُ كِسرى ملكِ الفُرسِ، وتساقطَتْ شُرُفاتُه، وخمدَتْ نارُهم التي كانوا يَعبُدونها! وكان لها قبلَ ذلك ألفُ عامٍ لم تَخمُدْ! ورُمِيَتِ الشياطينُ بالشُهُبِ؛ وكانت قبلَ ذلك تطيرُ في الهواءِ! فتَدنُوَ من السماء، وتسترقَ

السمعَ فَحُجِبَتْ عن السماءِ مِنْ ليلةِ مولدِه إلى الآن.

وكان في مكةَ عالمٌ من علماءِ اليهودِ، يَتجسَّسُ خبرَهُ؛ فلما كانت الليلةُ التي وُلِدَ فيها النبيُّ ﷺ جاء إلى مجلِسِ قريشٍ وقال هل وُلِدَ فيكم الليلةَ مولودٌ؟ فقالوا: ما نعلم! قال: الله أكبر انظروا واحفظوا ما أقول. قد وُلِدَ هذه الليلةَ نَبيٌّ هذه الأمةِ، بين كَتِفَيْهِ خاتَمُ النبوَّةِ. فتفرقوا من مجلِسِهِم فأخبرَ كلُ إنسانٍ منهم أهلَه. فقالوا: نعم قد وُلد الليلة لعبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلب غلامٌ: وسَمَّوه محمداً، فانطَلَقوا إلى اليهودي، وأخبروه بذلك. فقال: إذهَبوا بي حتى أنظرَ إليه. فذهبوا به فلما نظرَ إليه عرَفَهُ بالعلاماتِ؛ وأخبَرهم بذلك.

ولما وُلِدَ ﷺ أَرضَعَتْهُ أمُه سبعةَ أيامٍ. ثم أَرْضَعَتْه حليمةُ السعديةُ، لأنَّ قريشاً كانت عادتُهم لا يتركونَ نساءَهم يُرْضِعْنَ أولادَهُن، بل يَستأجِرونَ للأطفالِ مَن يُرضِعُهم. قالت حليمة ـ رضي الله عنها ـ: قدِمْتُ إلى مكةَ مع نساءِ قومي نطلبُ الرُضَعَاءَ. وكُنَّا في سَنَةِ قَحْطٍ، ومعي أتانٌ ضعيفةٌ وناقةٌ ليس فيها شيء مِنَ اللبن، وَوَلَدي لا يجدُ في ثَدْيَيَّ ما يَكفِيه من اللبنِ، فلما أخذتُ النبيَّ ﷺ، أقبلَ على ثَدْيِي ما شاءَ من

اللبن.. حتى رَوِيَ، ورَضعَ وَلدي ودرَّت ناقتُنا فحلَبَ منها زوجي، وشَرِب وشَرِبتُ، فبِتْنا بليلةٍ مباركةٍ. ثم خرَجْنا إلى أرضِنا فسبقَتْ أتاني دوابَّ أصحابي، حتى أنهم ليقولون: واللهِ إنَّ لإتانِكِ هذه شأناً، فلما قَدِمْنا أرضَنا كانت غنمي تسرحُ ترعى ثم تروحُ شباعاً غزيرةَ اللبنِ! وليس أحدٌ حولَنا تَدِرُّ له شاةٌ بقطرةِ لبنٍ منَ الجَدْبِ، ولم نزَلْ نتعرَّفُ بركتَهُ علينا، وكان يَشِبُّ شباباً لا تَشِبُّهُ الغِلمانُ فلما بلغَ حَولَيْنِ كامِلَينِ قَدِمْنا به إلى أمّهِ، ونحن نَوَدُّ أنه لا يفارقنا؛ لِمَا رأينا فيهِ من البركةِ، ثم لم نَزلْ نَسْأَلُ أُمَّه أَن تَرُدَّه معنا، وتَتركَهُ سنةً أخرى، حتى رَدَّتْهُ معَنا؛ فبينما هو يَلعبُ وأخوهُ مِنَ الرَّضاعةِ، خلفَ بيوتِنا إذ جاء أخوه يَعْدو.. وقال: إنَّ أخي القرشي أخذَهُ رَجُلانِ، وشقَّا بطنَهُ! فخرَجْنا نجري نحوَهُ، فوجدناه قائماً سالماً ما به بأسٌ، فقلنا: ما جرى لك؟ فقال: جاءني رَجُلانِ عليهِما ثيابٌ بيضٌ، وأَضجَعاني، وشقَّا بطني، ثم أخرجا مِن قلبي شيئاً، فطَرَحاهُ ثم ردَّاه كما كان بإذنِ اللهِ تعالى، قالت: ففَزِعْنا عليه، فرجَعْنا به إلى أمه؛ فلما جِئنا به وأخبرناها الخبرَ قالت: واللهِ ما للشيطانِ عليه سبيلٌ، وَليَكونَنَّ لابني هذا شأنٌ، وأُخبِرُكم أني حَملتُ به فلم أَرَ حَمْلاً أخفَّ مِنه، ووقعَ حين وَلَدْتُهُ مُعتَمِداً على

يَدَيْهِ، رافعاً رأسَه إلى السماء، ورَأَيتُ كأنه خرجَ مني نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشام.

ولما بلغ سِتَّ سنينَ ماتَتْ أمُه؛ فكَفَلَهُ جَدُّهُ عبدُ المطلبِ، وكان يُشفِقُ عليه، ويُفَضِّلُه على جميع أولادِه، ويُجْلِسُهُ معه على بساطِه، ويقول: سيكون لابني هذا شأنٌ. ثم مات جَدُّه وله ثماني سنينَ، وأوصى به إلى عَمِّهِ أبي طالب؛ فكَفَلَه وقام به أتمَّ قيامٍ، وخرجَ بهِ معه في سَفَرِه إلى الشام، وله اثنتا عَشْرَةَ سنةً، فرآه في الطريق بُحيرا الراهبُ، فعَرَفَهُ بالصفات التي فيه! فقال الراهب: هذا سيِّدُ المرسلين، هذا بِعْثَتُهُ رحمةٌ للعالمين، وإنكم حينَ أقبلتُم به لم يَبْقَ شجرٌ، ولا حجرٌ إلاَّ وسَجَدَ له، ولا يَسْجُدانِ إلاَّ لِنَبِيٍّ.

ثم لَمَّا بلغَ خمساً وعشرين سنةً، خرج إلى الشام في تجارةٍ لخديجةَ بنتِ خويلدٍ - رضي الله عنها - مع غلامٍ لها اسمُهُ مَيْسَرَةُ، وذلك قَبْلَ أن يَتزوَّجَها، فنَزلوا تحتَ ظلِ شجرةٍ في الطريقِ، فرآهُ راهبٌ آخَرُ فعرفَه بصِفَتِه، وقال: ما نزَلَ تحتَ هذه الشجرةِ إلاّ نبيٌّ، وأخبَرَهم أنه رأى الملائكةَ تُظِلُّه مِن حرِّ الشمس، فباع ﷺ تجارَتَهُ بالشام، وربِحَ أضعافَ ما كانوا يَرْبَحون، ورجعَ، فلما قَدِمِ مكّة أخبرَ

خديجةَ غلامُها بما رأى مِن حُسْن خُلُقِهِ ﷺ، وبركتِهِ وبما قال الراهبُ فيه، فرَغِبَتْ في تزوُّجِهِ، فتزوَّجَها وله ست وعشرون سنة، وكانت يومَئِذٍ سيدةَ نساءِ قريشٍ.

فلما بلغ أربعينَ سنةً كان أولُ ما بَدأَهُ من الوحي الرؤيا الصادقةَ، ثم حُبِّب إليه الخَلْوَةُ، وكان يَتعبَّدُ في غارِ حراءٍ في جبلٍ من جبالِ مكةَ. ثم جاءَهُ جبريلُ عليه السلامُ بالوحيِ من عندِ الله تعالى، وأنزلَ عليهِ القرآن، فأوَّلُ ما نَزلَ عليهِ من القرآنِ ﴿بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم. اقرأ باسمِ ربِّك الذي خَلَقَ، خلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ. اقرأ وربُك الأكرمُ الذي علَّم بالقلمِ عَلَّم الإنسانَ ما لم يَعلَمُ﴾ وكانت قُريشٌ يعبدون الأصنامَ، ولاَ يعرفون الحلالَ من الحرام، فدعا الناسَ إلى اللهِ تعالى.

وأقام بمكةَ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً يَدْعوهم إلى اللهِ. فمنهم مَن آمَنَ ومنهم مَن كفرَ. وأولُ مَن آمنَ به أبو بكرٍ الصديق، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، وخديجةُ ـ رضي الله عنهم ـ وكان قومُه يُؤذونَه، ويُؤذونَ أصحابَهُ المؤمنينَ، ويُعذِّبونهم فأمرَهم بالهجرةِ أولَ مرةٍ إلى الحبَشةِ، ثم أسلَم على يدِهِ جماعةٌ من الأنصارِ من أهلِ المدينةِ، فأمرَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ بالهجرةِ

إلى المدينةِ، ثم مات عمُّهُ أبو طالبٍ، وكان يَمنَعُ عنه كلَّ مَن أرادَهُ بسوءٍ، ولكنه مات ولم يُسلم، ثم ماتتْ خديجةُ ـ رضي اللهُ عنها ـ.

فحينئِذٍ أَذِنَ الله لَهُ في الهِجرة، فهاجرَ إلى المدينةِ الشريفة. ومعه أبو بكرٍ الصديقُ ـ رضي الله عنه ـ فخرجَ في طلَبِهما جماعةٌ مِن قريشٍ، فدَخَلا غاراً في جبلِ ثورٍ قريبٍ من مكةَ، ونَسَجتِ العنكبوتُ على بابِ الغارِ، وعشش عليه الحمامُ؛ فلما رَأى الكفارُ ذلك قالوا: لو كان أحدٌ في الغارِ.. ما كان هذا على بابِه، فرجَعوا! ثم خرجَ ﷺ فرآهما فارسٌ فركضَ وراءَهُما، فلما قَرُبَ منهما غرِقَتْ قوائمُ فرسِه إلى الرُكبةِ، فطلبَ الأمانَ فأَمَّنَهُ النبيُّ ﷺ، فرجعَ، ثم مَرَّ النبيُّ ﷺ على امرأةٍ اسمُها أمُّ مَعْبَدٍ، وعندها شُوَيْهَةٌ تَخلَّفَتْ مِن الغنمِ، فمَسَحَ على ضَرْعِها فدرَّتْ بلبنٍ كثيرٍ؛ فشَرِبوا كلُّهم.

ثم دخلَ المدينةَ فتوَطَّنَها، وبنى مسجِدَهُ، وأظهرَ الدِّينَ، وجاهدَ قومَه وغيرَهم على الإسلامِ؛ حتّى استقرَّت قواعدُ الدينِ، وأظهرَ اللهُ الإسلامَ، وشرَعَ اللهُ فَرائضَهُ من الصلاةِ، والزكاةِ والحجِ، والصيامِ، ثم فتحَ اللهُ عليه مكةَ في الثامنةِ

من السنينُ بعد الهجرة، ثم دخلَ الناسُ في دينِ الله أفواجاً؛ فلما كان في السَنةِ العاشِرَةِ حجَّ ﷺ حجةً الوداع؛ ثم رجعَ إلى المدينةِ، وأقرَّ اللهُ عينَهُ، ووَهبَهُ مِن الأوصافِ الجميلةِ ما لم يُخْصَ، ثم نَقَلهُ إلى ما وعدَهُ في الدارِ الآخرةِ من قولهِ تعالى: ﴿ولسوفَ يُعطِيك ربُّك فترضَىٰ﴾.

بابٌ في الإسراءِ به ﷺ والمعراج

وكان الإِسراء ليلةَ السابع والعشرينَ من رجبٍ.. قبلَ أن يهاجِرَ النبيُّ ﷺ من مكةَ إلى المدينةِ بسَنَةٍ، وكان ﷺ نائماً في بيتِه بمكةَ، فأتاه جبريلُ عليه السلامُ بالبراقِ، فرَكِبَهُ حتى أتى بيتَ المقدِسِ، فدخلَ المسجِدَ فصلَّى فيه.

ثم عُرِجَ به إلى السماءِ السابعةِ، ورأى فيها البيتَ المعمورَ.. يدخُلُه كلَّ يوم سبعونَ ألفَ مَلَكٍ لا يعودونَ إليه! فرأَى فيها سِدرَةَ المنتهى، وهيَ شجرةٌ عظيمةٌ يسيرُ في ظِلِّها الراكبُ سبعينَ سنةً، تَخرُجُ من أصلِها أنهارُ الجنة، وإليها ينتهي عِلْمُ الملائكةِ، وعندَها يَجِدون أمرَ اللهِ لا يجاوِزُها عِلْمُهم، ثم عُرِجَ به إلى ما شاءَ الله سُبحانَه وتعالى، ثم إلى حَضْرَةِ الربِّ سبحانَه وتعالى، فأَراهُ ما أَرادَ

اللهُ مِن عجائبِ القُدرةِ، ثم أَوحى إليهِ ما أوحى وفرضَ عليهِ وعلى أمتهِ خمسينَ صلاةً [في اليومِ والليلةِ] فسألَ من رَبِهِ التخفيفَ؛ فردَّها إلى خمسٍ، وقال: يا محمد، هُنَّ خمسُ صلواتٍ، وكُلُّ صلاةٍ بعَشْرِ أمثالِها، ومَن هَمَّ مِن أُمَّتِكَ بحسنةٍ فلم يعمَلْها.. كُتِبَ له حسنةٌ، وإن عملَها كُتِبَ له عَشْرُ حسناتٍ! ومَن هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم يُكْتَبْ عليه شيءٌ؛ فإن عَمِلَها كُتِبَ عليه سيئةٌ واحدةٌ. وإنِّي قد اتخذتُك حَبيباً، كما اتخذتُ إبراهيمَ خليلاً، وجعلتُ أُمَّتَك هم الأولونَ، وهم الآخِرونَ. وجعلتُ أُمتَك لا تُغفَرُ لهم خطيئةٌ حتى يَشهَدوا أَنك عَبدي ورَسولي، وأَعطيتُك سَبعاً مِن المَثاني وهُنَّ الفاتحة، ولم أُعطِها نبياً مِن قَبلِك، وأعطيتُك خواتِمَ سورةِ البقرةِ مِن كنزٍ تحتَ عَرشي ولم أُعطِها نبياً قَبلَك؛ وجعلتُك فاتِحاً وخاتِماً، ثم أَتاهُ رضوانُ خازنُ الجِنانِ فسلَّم عليه، ثم طاف به الجنةَ، فرأى قصورَها وحورَها، وأنهارَها، وأشجارَها، وأثمارَها، وما أَعدَّ اللهُ فيها لأهلِها، ثم أتاهُ مالكٌ خازنُ النارِ فسلَّم عليه، ثم كشَفَ له عن جَهَنَّمَ وأهوالها، وسلاسِلها، وأغلالِها، وما أعدَّ الله فيها لأهلِها، ثم رَدَّهُ إلى منزِلِه في ليلتِه قبلَ الفجرِ بقُدرة الله تعالى، فلما أصبحَ أَخبرَ قريشاً بما رأى.. فلم يُصدِّقوه، فقالوا لأبي بكرٍ الصديقِ ـ

رضي الله عنه ـ: إنَّ صاحبَك يزعُم أنه صَعِدَ إلى السماءِ، ورجعَ في ليلتِه! فقالَ: صَدَقَ. وإنَّا لَنُصَدِّقُه فيما هو أعظمُ منه.. في نزولِ الوَحي عليهِ مِن عندِ اللهِ في ساعةٍ واحدةٍ، فسُمِّيَ أبو بكرٍ الصديقَ ـ رضي اللهُ عنه ـ.

ومِن بعضِ ما رآه ﷺ مِن العجائب.. أنه رأى قوماً تُرضَخُ رؤوسُهم بالحجارة. وكلما رُضِخَتْ عادتْ كما كانت! ثم تُرضَخُ مرةً أخرَى. وكلما رُضِخَتْ عادتْ كما كانت.. ولم يَزَلْ يُفْعَلُ بهم ذلك، فقال: مَنْ هؤلاءِ يا جبريل؟ قال: هؤلاءِ الذينَ تثاقَلَتْ رؤوسُهم في النومِ عن الصلاةِ.

ورأى رَجُلاً مستلقِياً على قفاهُ.. وعلى رأسِهِ رجلٌ قائم بكُلاَّبٍ من حديد، يَشُقُّ به أحَدَ شِدْقَيهِ، ومِنخَرَيْهِ، وعَيْنَيهِ، حتى بلغَ قفاهُ، ثم يَتحوَّلُ إلى الجانبِ الآخَرِ، فيَفعَلُ بهِ مِثلَ ما فعلَ في المرة الأولى، ولم يَزل كذلك! فقال: مَن هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجلُ يخرجُ من بيتِه.. فيكذبُ الكَذْبةَ تَشِيْعُ في الآفاقِ.. ورأى مثلَ التَنُّورِ الكبيرِ.. وفيهِ ضَجَّةٌ وأصواتُ رجالٍ ونساءٍ عُراةٍ.. يأتِيهم لَهَبُ النارِ من أسفَلَ منهُم؛ فيَصِيحونَ.. فيرتفعونَ، ثم لم يزالوا كذلك، فقال: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الزناةُ والزواني.

ورأى رَجُلاً يسبَحُ في نَهَرٍ أحمرَ مثلَ الدَّمِ، وعلى جانبِ النَهرِ رجلاً قد جَمَعَ عِندَهُ حجارةً كثيرةً، فيأتيهِ السابحُ فيُلقِمَهُ حجراً فيذهبُ. ثم يعودُ إليه فيُلْقِمَهُ حَجراً آخَرَ، ولم يَزَلْ كذلك، فقال مَن هذا يا جبريل؟ قال: هذا آكِلُ الربا.

ورأى أرضاً طَيِّبَةً فيها أشجارٌ وأنهارٌ، وفيها رجلٌ طويل.. حَسَنُ المنظَرِ، وحولَه وِلْدانٌ كثيرةٌ، فقال: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا النبيُّ إبراهيمُ عليه السلامُ، وهؤلاءِ الولدانُ هم كلُّ مولودٍ ماتَ على فِطرَةِ الإسلامِ..

ورأى رجالاً شطرُ خَلْقِهِم أقبحُ ما يكون، والشطرُ الآخرُ أحسنُ ما يكون، وعندهم نَهرُ ماءٍ يجري.. إذا دَخَلوه ذهبَ عنهم القُبْحُ، وصاروا في أحسَنِ صورةٍ! فقال: مَن هؤلاءِ يا جبريل؟ فقال: هؤلاءِ قومٌ خَلَطوا عملاً صالحاً وآخَرَ سيئاً، فتجاوَزَ اللهُ عنهم.

ورأى الجنةَ مبنيةً بِلَبِنَةٍ من فضةٍ، ولَبِنَةٍ مِن ذهبٍ. ورأى فيها قصراً عظيماً فقال له جبريل: هذا منزلُك، قال: فدَعْني أدخُلُه.. قال: أَمَّا الآنَ فلا، وأنتَ داخِلُه.

ورأى قوماً يزرعونَ في يومٍ، ويَحصُدونَ في يومٍ.. كُلَّما حصَدوا عادَ كما كان، فقال: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ

المجاهدونَ في سبيلِ اللهِ... تُضاعَفُ لهم الحسنةُ بُسبعمائةِ ضِعْفٍ، وما أنفقوا مِن شَيءٍ أَخلَفَهُ اللهُ عليهِم.

ورأى قوماً يأكُلون الزقُّومَ، والضَّرِيعَ، ورَضْفَ جهَنَّمَ[1]، فقال: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذين لا يُخرِجون الزكاةَ.

ورأى رَجُلاً عليهِ حمولةٌ لا يَقدِرُ على حَمْلِها، وهو يُريدُ أنْ يَزيدَ عليها، فقال: مَنْ هذا يا جبريلُ؟ فقال: هذا الرجلُ عليه أمانةُ الناسِ.. لايستَطِيعُ أداءَها، وهو يُريدُ أَن يَزيدَ أمانةً أخرى.

ورأى قوماً تُقرَضُ شفاهُهم وألسِنتُهم بمَقارِيضَ من حديدٍ، كُلَّما قُرِضَتْ عادتْ كما كانت، ولا يفتُر عنهم من ذلك شيء. قال: مَن هؤلاءِ يا جبريلَ؟ قال: هؤلاءِ الخطباءُ الذين يأمرونَ بالمعروفِ ولا يَفْعَلونَهُ.

ثم دَخَلَ وادياً فشمَّ منه رائحةً طيبةً، وسمع صوتاً حسناً.. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه رائحةُ الجنةِ. وهذا صوتُها: تقول يا ربِّ عجِّل إليّ بأَهلي، وبما وعَدْتَني؛

(١) الرضف: الحجارة المحماة.

فقد كثُرَ حريري، وغِراسي، وفضتي، وذهبي، ومَرجاني، وفواكهي. فقال: إنكِ لكُلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، ومؤمنٍ ومؤمنةٍ. إني أنا الله لاأُخلِفُ الميعادَ. فقالت: رَضِيتُ.

ثم دَخلَ وادياً فشمَّ فيهِ رائحةً كريهةً، وسَمِعَ صوتاً قبيحاً.. فقال ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوتُ جهنَّم، تقول: يا ربِّ عجِّل إليَّ بأهلي، وبما وعَدْتَني. فقد كثُرَتْ سلاسلي وأغلالي، وبَعُدَ قَعْري، واشتدَّ حَرِّي، فقال: إنكِ لكُلِّ مشركٍ ومشركةٍ، وخبيثٍ وخبيثةٍ.

* * *

بابٌ في صِفَتِهِ وأخلاقِهِ ﷺ

وما كانت صِفَتُهُ في بيتٍ إلاّ وآمَنهُ اللهُ من السَّرَقِ والغَرَقِ والحَرَقِ، ولا كانت مع أحدٍ إلاَّ وآمَنهُ اللهُ من جَورِ السلاطينِ، وكيدِ الشياطينِ، ولم يفارِقْ منزلهُ السُّرورُ.

﴿أما صِفَتُهُ﴾: فكان ﷺ أزهرَ اللونِ ـ أيْ أن بياضَهُ كبياضِ القمرِ ـ وكان أدعجَ العينينِ أنجَلَهُما (والدُّعْجُ شديدةُ سوادِ الحَدَقةِ، والنُّجْلُ الواسعةُ) وكان أهدبَ الأشفارِ ـ أَيْ طويلَ شَعَرِ الأَجفانِ ـ وكان أبلجَ الوجهِ ليس بينَ حاجبَيه شَعَرٌ وكان أقنى الأنفِ أيْ طويلَ الأنفِ ووسَطُ أنفِهِ مرتفعٌ ـ وكان أبلجَ الثنايا، وكان مدوَّرَ الوجهِ معَ طُولٍ، وكان واسعَ الجبينِ، وكان كثَّ اللِحْيَةِ ـ أيْ كثيرَ الشَعَرِ ـ وكان واسعَ الصَدرِ، سَوِيَّ البطنِ والصَدرِ، عظيمَ المَنْكِبَينِ، ضخمَ العِظامِ عَبْلَ العَضُدَينِ والذِراعَينِ والأسافِلِ. (والعَبْلُ هو الضخم) رَحْبَ الكَفَّينِ والقدَمَيْنِ (والرَحْبُ الواسعُ) سائلَ الأَطرافِ ـ أي طويلَ الأصابع ـ أنورَ المتجرَّدِ ـ أي أنَّ بدنَهُ إذا تجرَّدَ عن القميص نورٌ مُشرِقٌ ـ وكان دقيقَ المَسْرَبةِ، وهو خيطُ الشَعَرِ الذي بينَ الصَدْرِ والسُّرَةِ، وكان رَبْعَ القَدِّ. . ليس بالطويل البائنِ، ولا بالقصيرِ المتردِّدِ، ومع ذلك

فلم يَكُنْ يُماشِيْهِ أحدٌ يُنْسَبُ إلى الطُولِ، إلاَّ كان النبيُّ ﷺ أطولَ مِنهُ، وكان رَجْلَ الشَعَرِ، والشَعَرُ الرَّجِلُ هو الـمُتَكَسِّرُ قَليلاً، كأنه مُشِّطَ، لا بِسَبْطٍ ولا جَعْدٍ جداً إذا افْتَرَّ ضاحكاً، افْترَّ عن مثل سَنا البرقِ. وإذا تكلَّم رُئِيَ كالنورِ يخرجُ مِن بينِ ثناياهُ، عُنقُهُ كأنَّهُ ابريقُ فِضةٍ، وكانَ أجملَ الناسِ مِن بعيدٍ، وأَحلاهُم وأحسَنَهم من قريبٍ.. كأن الشمسَ تجري في وجهِه.. يتلأَلأُ وجهُهُ نوراً كالقمرِ ليلَةَ كمالِهِ، مَن رآه قَبلَ أن يُخالِطَهُ هابَهُ، ومَن خالطَه أَحبَّهُ.

﴿وأما أخلاقُهُ ﷺ﴾: فكان متخلِّقاً بأخلاقِ القرآنِ، يَرْضىَ لرضا رَبِّه، ويغضبُ لغضبِهِ، وكان لا يغضَبُ لنفسِهِ، ولا ينتَقمُ لها إلاَّ أَن تُنْتَهَكَ حُرُماتُ اللهِ! وما خُيِّرَ بينَ أَمْرَيْنِ إلاَّ اخْتارَ أَيسَرَهُما ما لم يَكنْ إِثماً، وما ذَمَّ قُوتاً قطُّ.. بَلْ إنِ اشْتَهاهُ أَكلَهُ وإلاَّ تَرَكَهُ.

وكان ﷺ متواضِعاً لله تعالىَ، وكان يَرقَعُ ثَوْبَهُ ويخصِفُ نعلَهُ، ويحلِبُ شاتَهُ، ويَخِيْطُ ثوبَهُ، ويُجِيْبُ مَن دَعاهُ مِن غِنِيٍّ أو فقيرٍ صغيرٍ أو كبيرٍ، وكان أشجعَ الناسِ. قال عليُّ بن أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ: كان أشدُّنا بأساً.. الذي يَدْنو مِن النبيِّ ﷺ في الحَربِ، وكنا نَتَّقي به كما نتَّقي بالجِدارِ.

وكان أجودَ الناسِ.. ما سُئِلَ شيئاً قطُّ فقال: لا! وكان أحلَمَ الناسِ.. وسُئِلَ: لِمَ لا تَدْعو على قومٍ من الكفارِ؟ فقال: إنما بعثتُ رحمةً ولم أُبْعَثْ عذاباً. وكُسِرَتْ رباعيتُهُ، وشُجَّ جَبينُهُ في وقعةِ أُحُدٍ من الكفارِ؛ فدعا لهم بالهدايةِ، ولم يَدْعُ عليهِم!

وكان أفصحَ الناسِ لساناً، وأرجَحَهم عقلاً، وأغزَرَهم علماً، وألطفَهَم أدباً، وأصدَقَهم حديثاً، وأوفاهم ذمةً وعهداً، وأشدَّهم رأفةً ورحمةً.. اصطفاهُ الله لنبوَّتهِ، واختارَهُ لرسالتِه، وخصَّه بالحوضِ الموردِ والمقامِ المحمودِ، وجَعلَهُ سَيِّدَ المُرسَلينَ وخاتِمَ النَّبيينَ، وأرسلَهُ رحمةً للعالمينَ ﷺ.

* * *

بابٌ في بعضِ معجزاتهِ ﷺ

(فمنها) القرآنُ العظيمُ. . الذي لو اجتمع الأنسُ والجنُ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآن لا يأتونَ بمثلهِ، ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً!

(ومنها) انشقاقُ القمرِ، ونبعُ الماءِ من بينِ أصابِعه، وتكثيرُ الطعام ببركتِه، وتسليمُ الشجَرِ عليهِ، وحنينُ الجِذْعِ إليه، وتسبيحُ الحصىَ في يَدهِ، وشهادةُ الضَبِّ له، وكلامُ الذِراعِ، واحياءُ الموتى، وإبراءُ المَرْضَى. . إلى غيرِ ذلك مما لا يُحصَىَ.

وقد ثبتَ أنّ أهلَ مكةَ سألوا النبيَّ ﷺ أنْ يُرِيَهُم آيةَ، فدعا القمرَ فانشقَّ نصفَينْ، وشَهِدَ له بالرسالةِ! وثبتَ أيضاً أنه توضَّأ من رَكْوَةٍ، وأَقبَلَ الجيشُ نحوَهُ وقالوا: ليس لنا ماءُ. . فوضع ﷺ يَدَهُ في الركوةِ ففار الماءُ من بين أصابعِهِ كأمثالِ العيونِ فتوضؤوا، وشربوا وملؤوا أَسْقِيَتَهم. . وكانوا ألفاً وخمسمَائةٍ! قال الراوي: ولو كُنَّا مائةَ ألفٍ لكفانا.

وثبَتَ أيضاً أَنه أَطْعَمَ ألفَ رَجُلٍ حتى شَبِعوا مِن صاعِ شعيرٍ وعناقٍ صَنعَهُ له جابرٌ، وانصرَفوا والعجينُ يُخْبَزُ والبرمةُ تفورُ.

وثبتَ أيضاً أَنَّ أعرابِياً سألهُ آيةً فقال: «قل لتلك الشجرةِ. . رسولُ الله ﷺ يَدْعوكِ» قال: فأَقبلَتِ الشجرةُ تَجُرُّ عُروقَها حتى وقَفَتْ بينَ يديهِ وقالت: السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ، ثم أمَرَها فرَجعَتْ إلى مكانِها!

وثبتَ أيضاً أنَّهُ ﷺ كان قَبلَ أَنْ يُعمَلَ له المِنبَرُ يَستَنِدُ إلى جذعٍ ويخطُبُ، فلما خطَبَ على المنبر سَمِعوا ذلك الجذْعَ يَحِنُّ كما تَحِنُّ العِشارُ. . حتى ارْتَجَّ المسجِدُ وخرجَ ﷺ فضَمَّهُ إليهِ، ووضعَ يدَهُ عليه فسكتَ! فبكى الناسُ. . وقالوا: إذا كانتِ الخشبةُ تحِنُّ اليكَ فنحنُ أولى بالشوقِ اليكَ. فقال النبيُّ ﷺ: «واللهِ لو لم أَضُمَّهُ إليَّ لم يزلْ هكذا إلى يومِ القيامةِ حَزَناً على ما فاتَهُ مِن ذكرِ اللهِ، ومِن فراقِ رسولِ اللهِ ﷺ»

وثبت أيضاً أنَّهُ ﷺ أخَذَ كَفاً من حَصَىٰ فسبَّحَتْ في كفهِ، ثم وضعهُنَّ فِي كفِّ أبي بكرٍ الصديقِ ـ رضي الله عنه ـ فسبَّحَتْ.

وثبتَ أيضاً أنَّ أعرابياً صاد ضَبًّا فقال النبيُّ ﷺ: يا أعرابيُّ أَسْلِمْ قال: واللهِ لا أؤمنُ بكَ حتى يؤمِنَ بكَ هذا الضَبُّ، فأخذَهُ النبيُّ ﷺ وقال له: يا ضَبُّ، فأجابه بلسانٍ فصيحٍ

يَسمعُهُ القومُ: لبيَّك وسَعْدَيك يا زينَ مَن وافى القيامةَ. فقال له: مَن تعبُدُ؟ قال: الذي في السماءِ عرشُه، وفي الأرضِ سلطانهُ، وفي الجنةِ رحمتُه، وفي النار عقابُه. قال: مَنْ أنا؟ قال: أنتَ رسولُ ربِّ العالَمينَ، وخاتِمُ النبِيِّينَ، قدْ أَفلحَ مَن صدَّقَك، وخابَ مَن كَذَّبَك.

وثبتَ أيضاً أنّ يهوديةً أهدَتْ له شاةً مسمومة، فأكلَ منها هو وأصحابهُ فقال له ذراعُها: إنها مسمومةٌ يا رسول اللهِ؛ فرفعَ يدَهُ وقال لليهوديةِ: ما حَمَلكِ على هذا؟ قالت: إني قلتُ إنْ كان نَبيًّا لم يَضُرَّهُ، وإن كان غيرَ نبيٍّ أرحتُ الناسَ منه، فأمَرَ بقَتْلِها فقُتِلَتْ.

وثبت أيضاً أنَّ رجلاً جاءَهُ وقال: إني طرَحْتُ بِنْتي في الوادي ولم أجِدْها؛ فانطلقَ معه النبيُّ ﷺ إلى الوادي وناداها باسمها: يا فلانةُ أحْيي بإذنِ اللهِ، فخرَجَتْ وهي تقولُ: لَبَّيْكَ وسَعدَيْك يا رسولَ اللهِ، فقال لها: إن أَبَوَيْكِ قد أسلما، فإنْ أَحْبَبْتِ أَن أَرُدَّكِ عليهما؟ فقالت: لا حاجةَ لي فيهما.. وجدتُ اللهَ خيراً لي منهُما!

وثبت أَيضاً أنه ﷺ رَدَّ عينَ قَتادَةَ وقد سالَتْ على خَدِّه، فكانتْ في الحالِ أَحسَنَ من العينِ الأُخرى! وأن أعمى جاءَهُ

وقال: يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن يكشِفَ لي عن بصري، فقال: انطلِق فتوضَّأ وصَلِّ ركعتَينْ وقل: اللهُمَّ إني أتوسَّلُ إليكَ، وأتوَجَّهُ إليكَ بِنبيِّك محمدٍ ﷺ نَبيِّ الرحمةِ.. يا محمدُ إنيِّ أتوجَّهُ بك إلى ربّك أن يَكشِفَ عن بَصري.. اللهُمَّ شفِّعْهُ فيَّ؛ ففعلَ الأعمى ذلك فكشف اللهُ عن بَصَرِهِ.

* * *

بابٌ في وفاتِه ﷺ

ابتدأَ به المرضُ في يومِ الأربعاءِ لثمانٍ وعشرينَ من صفر في بيتِ أمِّ المؤمنينَ ميمونةَ بنتِ الحارثِ ـ رضي الله عنها ـ ثم أَذِنَ له أزواجُه أن يُمَرَّضَ في بيتِ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ بنتِ أبي بكرٍ الصديقِ ـ رضيَ الله عنهم ـ أجمعين وكانت مُدَّةُ مَرضِهِ أربعَ عَشْرَةَ ليلةً؛ فلما ثَقُلَ بِهِ المرضُ أمَرَ أبا بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ أن يُصَلِّيَ بالناسِ. . قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ ـ رضيَ الله عنه ـ: دَخَلْنا على رسولِ اللهِ ﷺ في بيتِ أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ ـ رضي اللهُ عنها ـ حين دنا منه الفراقُ، فلما نظَرَ إلينا دَمَعَتْ عيناهُ، ثم قال: مرحباً بكم، حيَّاكُمُ الله، آواكُم الله، نصَرَكُم اللهُ. . وأُوصِيكم بتقوَى الله، وأستودِعُكم الله، وأستخلِفُه عليكم. . إِني لكم منه نذيرٌ مبين وقَدْ دَنا الأجلُ والمنقلَبُ إلى الله عَزَّ وجَلَّ، وإلى سِدرَةِ المُنتَهى، وإلى جَنَّةِ المأوَى فاقرأوا على أنفسِكم مني السلامَ، واقرأوا على مَن دخلَ في دينِكم مِن بَعدِيَ السلامَ. . ألاَ وإنِّي لاحقٌ بربي، وأنتم لاحِقونَ بي، أَيُّها الناسُ إن الذنوبَ تُزِيلُ النِّعَم وتُبَدِّلُها بالنِقَم، ومَن غالَب اللهَ غلَبَهُ، ومَن خادَعَ الله خدَعَه.

ولمَّا أرادَ الله قَبْضَ روحِهِ الكريمةِ دخَلَ عليه مَلَكُ الموتِ

ـ عليه السلامُ ـ فردَّ عليهِ السلامَ وقال: إن الله عَزَّ وجَلَّ أرسَلَني إليك، وأمَرَني أن لا أَدْخُلَ عليك إلاّ بإذنٍ. . فإنْ لم تأذَنْ أرجَعُ. وأمَرَني أنْ لا أقبِضَ روحَكَ حتى تأذَنَ لي. فماذا تأمرني به؟ فقال النبي ﷺ: أمهِلْني حتى يَأْتِيَني جبريلُ؛ ثم نزل جبريلُ ـ عليه السلامُ ـ فأخبَرَهُ النبيُّ ﷺ فقال: يا محمدُ: إن رَبَّك مشتاقٌ إليك، وإنه يريدُ أن يُبَلِّغَكَ ما ادَّخره لك عِندَهُ مِنَ الكرامَةِ، لا واللهِ ما اسْتأْذَنَ مَلَكُ الموتِ أحداً قبلك، ولا يستأذِنُ على أحدٍ بعدك، ولكنَّ اللهَ يَزيدُكَ بذلك شرفاً وكرامةً، قال: فمَن لأُمَّتي بعدي يا جبريلُ؟ فأوحى اللهُ تعالى إلى جبريلَ أنْ بَشِّرْ حبيبي محمداً أَنْ لا أَخْذِلَهُ في أمتِه، وبَشِّرْهُ أَنَّهُ أولُ مَن تَنشقُّ عنه الأرضُ، وأَنَّ الجنةَ محرَّمَةٌ على جميع الأممِ حتى تَدخُلَها أمتُه، فقال النبي ﷺ: أَمَّا الآنَ فقد قَرَّتْ عَيني، فلا تبرحْ مكانَكَ حتى يأتيَ مَلَكُ الموتِ، ثم دعا ابنتَهُ فاطمةَ ـ رضي الله عنها ـ فسارَّها في أُذُنِها فبَكَتْ، ثم سارَّها في أُذُنِها فضَحِكَتْ. فسَألوها عن ذلك بَعدَ موتِه فقالت: قال لي في أولِ مرَّةٍ: إني مَيِّتٌ؛ فبَكَيْتُ، ثم قال لي: إنَّكِ أولُ مَن يَلحَقُ بي من أهلي؛ ففرحت، ثم قال لِمَلَك الموت: أَلْحِقْني بربي هذه الساعة، فخرج جبريلُ عليه السلامُ، وقال: السلامُ عليك يا رسولَ

اللهِ.. هذا آخِرُ ما أَنزِلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ، وطُوِيَ الوحْيُ والتنزيلُ بموتِكَ، وما كانْت لي في الأرضِ حاجةٌ غيرك.

ولما حضَرَتْهُ الوفاةُ أَخَذَ السِّواكَ فاستاكَ به، وعائشةُ ـ رضيَ الله عنها ـ مُسنِدَةٌ ظهرَهُ إلى صَدرِها، وكان عندَهُ قدحٌ فيه ماءٌ. فجعلَ مَرَّةً بعدَ أُخرَى يُدْخِلُ يَدَهُ في ذلك الماءِ. ويمسحُ بها وجهَهُ ويقول: لا إلٰه إلاّ الله.. إنَّ للموتِ سكراتٍ، اللهم أعِنِّي على سكراتِ الموتِ، ثم جَعَل يُغشَى عليه وجبينُه يَرْشَحُ مِنَ العرَقِ، فلمّا رأَتْ فاطمةُ ـ رضي الله عنها ـ ذلك بَكَتْ، وقال: واكرباهُ لكَرْبِكَ يا أبتِ، فأفاق، وقال: لا كَرْبَ على أبيك يا فاطمةُ بعدَ اليومِ؛ وكان كلّما أفاق يُوصي بالمحافظةِ على الصلاةِ، ويقول: الصلاةَ الصلاةَ.. فإنكم لن تزالوا بخيرٍ ما دُمتم تُصَلُّونَ، ولم يزَلْ يُوصي بها إلى أَن قُبِضَتْ يَدُهُ، وتوفاهُ الله طاهِراً مُطَهَّراً ﷺ، فلما ماتَ ضجَّ الناسُ بالبكاءِ، وارتَجَّتِ المدينةُ بأهلِها، وحارتْ عقولُ الناسِ، فدخَلَ أبو بكر الصديقُ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ فكَشفَ الثوبَ عن وجهِه فقَبَّلَهُ، ثم قال: وانَبيَّاهُ.. واصَفِيَّاهُ.. واخَلِيلاهُ.. واحَبِيبَاهُ، صدَقَ الله، وصدَقَ

رسولُه: ﴿إنكَ مَيِّتٌ وإنهم مَيِّتون. وما جعَلْنا لِبَشَرٍ مِن قبلِكَ الخُلدَ أفإن متَّ فهم الخالدون﴾، وكانت فاطمةُ ـ رضي اللهُ عنها ـ تبكي وتقولُ: واأبتاهُ أجاب رباً دعاه، ياأبتاه جَنةُ الفردوسِ مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، يا أبتاه مِن ربِّهِ ما أدناه! فبينما هم كذلك إذ ناداهم منادٍ يسمعون صوتَه ولا يَرَون شَخْصَه يقول: السلامُ عليكم يا أُمَّةَ محمدٍ ورحمةُ الله وبركاتُه، ﴿كل نفس ذائِقَةُ الموتِ﴾، وإنَّ في الله عَزاءً مِن كُلِّ مصيبةٍ، وإليه فارجعوا فإنَّ المُصابَ مَن حُرِمَ الثوابَ والسلام.

ودُفِنَ ﷺ في بيت عائشةَ في موضِعِه الذي مات فيه، قال أنسٌ ـ رضيَ الله عنه ـ: لَمَّا انصرَفْنا مِن دفنِه: قالت فاطمةُ ـ رضي الله عنها ـ: كيف طابت أَنفُسكم أن تَحثوا الترابَ على رسول اللهِ ﷺ؟! وكانت وفاته ضُحىً يومَ الإثنين الثاني عَشَرَ من شهرِ ربيعِ أول سنةَ إحدى عَشْرَةَ من هِجرتِه ﷺ.. في مثلِ الشهرِ واليومِ والوقت الذي دخَلَ فيه المدينة، يومَ هاجرَ إليها، قال أنسٌ ـ رضي الله عنه ـ: لمّا كان اليومُ الذي قَدِمَ فيه النبيُّ ﷺ المدينة أضاءَ مِنها كُلُّ شيْءٍ؛ فلمّا كان اليومُ الذي مات فيه أظْلَمَ منها كُلُّ شَيْءٍ! وكان عُمرهُ يومَ مات

ثلاثاً وستينَ سنةً. وتوفِّيَ ﷺ عن تسع زوجاتٍ.. منهن عائشة بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ رضيَ الله عنهن أجمعينَ، دخَلَ عليها بِكراً وهي بنتُ تسع سِنين؛ ولم يتزوَّجْ بِكْراً غَيرها، وكانت أحبَّ نسائِه إليه. ومنهُنَّ حفصةُ بنتُ عمرَ بنِ الخطابِ ـ رضي الله عنهُنَّ أجمعينَ ـ وكان طَلَّقَها، فأتاهُ جبريلُ عليه السلامُ وقال: إنَّ اللهَ يأمرُك أن تراجِعَها؛ فإنها صوَّامةٌ قوَّامة، وإنَّها مِن أزواجِك في الجنة.

وأَوَّلُ مَن تزوج بخديجةَ بنتِ خويلدٍ ـ رضيَ الله عنها ـ وماتَتْ بمكةَ قبلَ الهجرةِ، وهيَ أمُّ أولادِهِ كُلِّهِم غيرَ إبراهيمَ، فإنَّ أُمَّهُ ماريةُ القبطيةُ جاريةٌ أُهدِيَتْ له فتسرَّرَها، والذين وَلَدَتْهُم خديجةُ ـ رضيَ الله عنهاـ زينبُ، ورقيةُ، وأُمُّ كلثومٍ، وفاطمةُ ـ رضيَ الله عنهُنَّ ـ وكلُّهُنَّ مُتْنَ قَبلَهُ بالمدينةِ إلا فاطمةَ، فإنَّها ماتت بَعدَهُ بستةِ أشهرٍ. وكان وَلَدَتْ له خديجةُ غُلامَيْنِ أَحدُهما: يُسمَّىٰ القاسِمَ، وكان النبيُّ ﷺ يُكَنَّىٰ بهِ فمات بمكةَ قبلَ البلوغِ. والثاني عبدُالله ماتَ بمكةَ أيضاً وهو طِفلٌ، وماتَ إبراهيمُ بالمدينةِ وهو طِفلٌ أيضاً.

ومن أعمامِهِ ﷺ العباسُ وحمزةُ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ ومِن عمَّاتِهِ صفيةُ أُمُّ الزُبَيرِ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ ومِن ساداتِ أَصحابهِ

العشرةُ المشهودُ لهم بالجنةِ، وهم: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وسعدٌ، وسعيدٌ، وطلحةُ، والزبيرُ، وعبدُ الرحمٰنِ، وأبو عُبَيدَةَ - رضيَ اللهُ عنهم أَجمَعينَ -.

ومِن أَخدامِهِ أنسُ بنُ مالِكٍ، وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، وبلالٌ، وزيدُ بنُ حارِثَةَ، وأُمُّ أَيمَنَ - رضيَ اللهُ عنهم أَجمَعينَ -.

* * *

بابٌ في ذِكْرِ علاماتِ الساعةِ

قال رسولُ اللهِ ﷺ: لا تقومُ الساعةُ حتى تكونَ قَبْلَها عشرُ علاماتٍ، وَذَكَرَ منها قيامَ المهديِّ، وخروجَ الدجال، ونزولَ عيسىٰ ابنِ مريمَ عليهِ السلامُ، وفَتْحَ يأجوجَ ومأجوجَ، وطلوعَ الشمسِ مِن مَغرِبها.

أما المهديُّ.. فقال النبيُّ ﷺ: لَو لَم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلاَّ يومٌ واحدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ؛ حتى يَبْعَثَ فيه رجلاً من أهل بَيتي اسمُه اسمي. واسمُ أبيهِ اسمُ أبي، فيملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً، كما مُلِئَتْ جَوراً وظُلماً.

وأما الدجالُ.. فقال ﷺ: ليس بينَ آدمَ إلى قيامِ الساعةِ فتنةٌ أعظمُ من الدجالِ، وإنه سيَخرُجُ فيكم، وإنه أعورُ العينِ، مكتوبٌ بين عينيهِ كافرٌ! يعرِفُه مَن يَقرَأُ ومَن لا يَقرَأُ. ومهما خَفِيَ عليكم مِن شأنِهِ فلا يَخْفَىٰ عليكم. إنَّ ربَّكم ليس بأَعْوَرَ، وإنَّ معه جنةً وناراً. فأما الذي يَرَىٰ الناسُ أنه نارٌ فماءٌ عذبٌ بارد. وأما الذي يَرَىٰ الناسُ أنه جنةٌ فنارٌ تَحرِقُ. فمن أَدرَكَهُ منكم فليقَعْ في الذي يَرىٰ أنه نار. فإنه ماء عذب بارد وإنهُ لا يَدَعُ قريةً إلاَّ دخَلَها غيرَ مكةَ والمدينةِ؛ فإنهما مُحرَّمَتانِ عليه.. كلما أراد أن يَدخُلَ واحدةً منهما استقبله

مَلَكٌ بِيَدِهِ سيفٌ فردَّهُ عنهما! فيَخرُجُ إليه رجُلٌ مِن أهلِ المدينةِ وهو يومَئذٍ مِن خيرِ الناسِ، فيقولُ له الدجال: أتؤمنُ بي؟ فيقول: لا، بل أَشهدُ أنك الدجالُ الذي حَدَّثَنا عنك رسولُ اللهِ ﷺ؛ فيقتلُهُ الدجالُ ثم يُحْيِيهِ اللهُ. فيقول له الدجالُ: أَتشهدُ أَنِّي ربُّك فيقول: لا، أَشهدُ أَنك الدجالُ؛ فَيهُمُّ أن يقتُلَهُ مُرَّةً أخرَىٰ فلا يُسَلَّطُ عليه.

وأما عيسىٰ عليهِ السلامُ. فقال ﷺ: إنَّ عيسىٰ عليه السلامُ نازلٌ فيكم، فيَحكُمُ بالعدل، ويَفيضُ المالُ حتى لا يقبلُهُ أحدٌ، ويَقتُلُ الدجَّالَ.. وهو خليفتي؛ فمَنْ أدرَكَهُ منكم فلْيُقْرِئْهُ مني السلامَ.

وأما يأجوجُ ومأجوجُ فرُوِيَ أَنهم يَخرُجونَ في أيامِ عيسىٰ عليهِ السلامُ، وهُم خَلْقٌ كثيرٌ لا يُحصِيهم إلاَّ اللهُ تعالى، وإِنَّهم صِنْفانِ: كلُّ صِنْفٍ أربعُمائةِ ألفِ أُمَّةٍ. كُلُّ أُمَّةٍ لا يَعْلَمُ عدَدَها إلاَّ اللهُ، وإنهم أصنافٌ كثيرةٌ صِنْفٌ كأمثالِ الشَّجَرِ الطُّوالِ، وصِنْفٌ منهم طولُهُ شبرٌ أَوْ أَكثرُ، وصِنْفٌ عَرضُ أَحَدِهم وطولُه سواءٌ! وصِنْفٌ لهم آذانٌ عِراضٌ يَفترِشُ أحدُهم أُذُنَهُ ويتغَطَّىٰ بالأُخرَىٰ! وهم الآن محبوسون مِن وراءِ السَّد. والموضعُ الذي هم ساكِنوهُ مسيرةُ ثمانِينَ سنةً، كُلُّه معمورٌ

بهم، فإذا جاءَ وَعْدُ ربِّك جعَلَ السَّدَّ دَكًّا وخرَجوا وانتشَروا في الأرض وأكَلوا ما عليها مِن رطبٍ ويابس؛ حتى أنهم لَيَمُرُّ أوَّلُهم على بحرِ الشام الحلوِ فيشربونه، ويأتي أوسَطُهم فيلْحَسونَ نداوةَ أرضِهِ، ويأْتي آخِرُهم فيقولون: هذا أثرُ ماءٍ كان هٰهنا، ويرفعُ اللهُ عيسى عليه السلامُ ومَن معه مِن المؤمنينَ إلى جبالِ مكةَ مدةَ إقامَتِهم في الأرض. فإذا فرَغوا من كُلِّ ما على وجهِ الأرضِ قالوا: قهَرْنا مَن في الأرض.. فتعالَوا نقاتِلْ أهلَ السماءِ؛ فيَرمُون بالسهامِ نحوَ السماءِ فيردُّها اللهُ عليهم مُلَطَّخةً بالدم؛ فيقولون: قد قَهَرْنا أهلَ السماءِ! فيُرسِلُ اللهُ عذاباً؛ فيُصبِحونَ مَوتىٰ، ثم يُرسِلُ اللهُ عليهِم مَطراً عظيماً فتجرُّهم السيولُ إلى البِحارِ، فيَخْلو وجهُ الأرضِ عن جِيَفِهم، ويَمكُثُ عيسىٰ عليه السلامُ ومَن معَه بَعدَهُم عِشرينَ سنةً يَحُجُّون ويَعتَمِرون، ولا يَبقىٰ على وجهِ الأرضِ كافرٌ ولا عاصٍ لله تعالى، وتذهبُ العداوةُ والبغضاءُ في أيامهِ حتى تَرعىٰ الغنمُ مع الذئبِ، ويلعبُ الصبيانُ بالحيَّاتِ فلا تَضرُّهم! وتعودُ الأرضُ إلى بَركاتِها كما كانتْ على عَهدِ آدمَ عليه السلامُ؛ حتى أنَّ حَبَّةَ الرمانِ تُشبِعُ أهلَ بيتٍ! ويَستَظِلُّ الإنسانُ في نِصْفِ قِشْرِها.

ثم يَخرُجُ مَلِكُ الحبَشَةِ فيَهْدِمَ الكعبةَ حَجَراً حَجَراً ولا تُعمَر أبداً، ويَنقطِعُ الحجُّ، ثم يقتلهم المسلِمونَ، ثم تأتي ريحٌ فتَقبِضُ روحَ كِلِّ مُسلِمٍ، ويَرتفعُ القرآنُ، ويبقىٰ أشرارُ الناسِ، فعلَيهِم تقومُ الساعةُ.

وأما الشمسُ فقال ﷺ: لا تقومُ الساعةُ حتى تَطلُعَ الشمسُ مِن مغرِبها، ويُغلَقُ بابُ التوبةِ يومَئِذٍ وذلك قولُه تعالى: ﴿يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربِّك لا يَنفعُ نفساً إيمانُها لم تكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ﴾. ورُوِيَ أنه إذا كان الليلةُ التي تطلُعُ الشمسُ في صَبِيحَتِها من مَغرِبها، تكونُ تلك الليلةُ قَدْرَ ثلاثِ ليالٍ؛ فيقومُ الرجلُ وينامُ، ويقومُ ثم ينامُ؛ فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: ما رأينا أطْوَلَ من هٰذِه الليلةِ قَطُّ، فلا يَدْرون إلاَّ وقد طلعَتِ الشمسُ من مَغرِبها سوداءَ مظلمةً، ولا تُقْبَلُ لأحدٍ توبةٌ بعدَ ذلك إلى يومِ القيامةِ، ويتقاربُ الزمانُ؛ فتكونُ السنةُ كشهرٍ، والشهرُ كجمعةٍ، والجمعةُ كيومٍ، واليومُ كساعةٍ، ولا تقومُ الساعةُ حتى تُكَلِّمَ السباعُ الإنسَ، وحتى يُكَلِّمَ الرجلَ شراكُ نَعلِهِ، ويُخْبِرَهُ فَخِذُه بما أَحدَثَ أهلُه بَعدَهُ، ولا تقومُ الساعةُ على أَحَدٍ يقولُ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ، ولا تقومُ الساعةُ إلاَّ على أشرارِ الناسِ.

بابٌ في الموتِ والقبرِ

رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّ ابنَ آدمَ إذا استَكْمَلَ رزقَهُ، واستَوفىٰ عُمرَهُ، وحضَرَهُ أجلُه.. نَزلَتْ عليه أربعةُ أملاكٍ، وجَذَبوا نَفَسَهُ من بينِ يدَيهِ ورِجْلَيه، وهو يَظُنُّ من شِدَّةِ ما يلقاهُ من الكَرْبِ أَنَّ السماءَ انطبقَتْ على الأرضِ وهوَ بَينهُما، وكأنَّ في بَطنِهِ غُصنَ شوكٍ، وجَذَبَه مِن جَوفِهِ رجُلٌ شديدُ القوةِ، فقطَعَ ما قَطعَ؛ وأَبقىٰ ما أَبقىٰ، فعندَ ذلك يرشَحُ جبينُه، ويَصفَرُّ لونُه ويعلو صَدرُه. وترتَفِعُ أضلاعُه لعُظْمِ ما يَلقىٰ من المشقَّةِ، ثم يموتُ بدنُه عضوٌ بعدَ عضوٍ، ويَلقىٰ الموتَ كُلُّ عضوٍ سَكْرةً بعد سَكرةٍ؛ حتى تبلُغَ روحُه الحلقومَ، فعندَ ذلك يَنقَطِعُ نظرُه عن الدنيا وأهلِها، ويشاهِدُ الآخِرةَ وأَهوالَها، ويُغلَقُ عنه بابُ التوبةِ. وتُعرَضَ عليه أنواعُ الفتنةِ في دينِه. ويَحضرُهُ إبليسُ وجنودُه. ويَتمثَّلونَ له في صورةِ مَن يَعرِفُه ممن قد ماتَ قبلَهُ مِن أصدقائِه. ويقولون له: يا فلانُ مُتْ إما يهودياً وإما نصرانياً، فإنَّه الدينُ المقبولُ عندَ اللهِ.. فعندَ ذلك يُزِيغُ اللهُ مَن أرادَ زَيغَهُ، ويُثَبِّتُ مَن أرادَ تَثْبِيتَهُ، فإنْ كان إيمانُه قوياً، وطاعتُه غالبةً عليهِ.. حضَرَتْهُ ملائكةُ الرحمٰنِ، وطرَدَتْ عنه الشياطينَ. وإن كان إيمانُه

ضعيفاً. وكان مُضَيِّعاً للطاعاتِ. كثيرَ المعاصي غَلَبَ عليه إبليسُ وجنودُه. فأَغواهُ عن دينِ الإسلامِ، ومات على الكُفْرِ؛ فاستَحقَّ الخلودَ في النارِ. . إلاَّ مَن رَحِمَهُ اللهُ تعالى! قالوا: وأكثرُ ما يَزِيغُ عن دينِ الإسلامِ عندَ الموتِ تاركُ الصلاةِ، ومدمِنُ شربِ الخمرِ، والمَكَّاسُ، وقاتلُ النفسِ، والزاني بنساءِ جيرانِه! ومَن مات مُصِرّاً على معصيةٍ من غيرِ توبةٍ، نَسأَلُ اللهَ العافيةَ.

فإذا قَبِضَ مَلَكُ الموتِ النفسَ. فإن كانتْ سعيدةً ناوَلَها إلى أعوانٍ له حسانِ الوجوهِ، ولها رائِحةٌ طيبةٌ مِن طِيْبِ أعمالِه الصالحةِ. فيعرُجونَ إلى السماءِ السابعةِ أَسرعَ من البرقِ الخاطفِ، وكُلَّما مَرُّوا على أهلِ سماءٍ قالوا: مرحباً بكم ومَن معكم: نِعْمَ العبدُ فلانٌ، ويُثْنونَ عليهِ بما كان يَصْعَدُ عليهِم من صلاتِه وصَدَقَتِهِ وصِيامِه وذِكْرِهِ وتلاوتِه وغيرِ ذلك، حتى يَنتهِيَ الأعوانُ إلى بينَ يَدَي اللهِ فيُعاتِبُه ربُّه ببعضِ الهفواتِ التي لم يَطَّلِعْ عليها إلاَّ اللهُ سبحانَهُ وتعالى؛ حتى يَظُنَّ العبدُ أَنه هالكٌ. فيرحَمه ربُّه ويقولُ: لا تَخَفْ يا عَبدي، فكما سترتُ عليك في الدنيا بحلمي. فأنا أغفرُها لك بكَرَمي. ثم يأمرُ الأَعوانَ بردِّها إلى جسدِه.

وإن كانتِ النفسُ شقيةً ناوَلَها المَلَكُ إلى زبانيةٍ قِباحِ الوجوهِ، غِلاظٍ شِدادٍ؛ فيصعَدون بها ولها رائحةٌ خبيثةٌ من خُبْثِ أعمالِه القبيحَةِ، فإذا قَرَعوا بابَ سماءِ الدنيا قالت لهم خَزَنَتُها: لا أهلاً ولا سهلاً بفلانٍ. كنا نَلعنُه وهو يمشي على وجهِ الأرضِ، فكيف نَفتَحُ له بابَ السماء؟! وقاطعُ الصلاةِ تردُّه صلاتُه.. وتقولُ: ضَيَّعكَ اللهُ كما ضيَّعْتَنِي، ولو حَفِظْتَنِي لحَفِظَكَ اللهُ! وقاطعُ الرَّحِمِ تردُّه الرحمُ وتقولُ: قطَعَكَ اللهُ كما قَطعتَني، ولو وَصَلْتَني لوَصَلَك الله! وهكذا كلُّ مَن غلَبَتْ عليه خطيئةٌ قبيحةٌ ومات على غيرِ توبةٍ منها خُشِيَ عليه أن تَحجُبَهُ عن رحمةِ اللهِ؛ فإذا سمع الزبانيةُ ما قيل له طَرَحوهُ من أيديهِم ولَعَنوه؛ فيَخِرُّ مِن السماءِ، وتَهوِي بها الريحُ حتى تعودَ إلى جسدِهِ الخبيثِ! فإذا عادتِ النفسُ إلى الجسَدِ، وأُدْرِجَ الميِّتُ في الكفن.. صارتْ نفسُه مُلتَصِقَةً بصَدرِهِ وهي تصيحُ بصوتٍ يَسمَعُه كلُّ شيْءٍ إلاَّ الجنَّ والإنسَ. فإن كانت سعيدةً قالت: أَسرِعوا بي أسرِعوا بي إلى جنةٍ ورضوانٍ وربٍّ غيرِ غضبانَ.. ﴿يا ليتَ قومي يَعلَمونَ بِما غَفَرَ لي رَبِّي وجعَلَنِي من المُكْرَمِينَ﴾ وإن كانت شقيةً قالت: رويداً رويداً إلى أي عذابٍ تَحمِلونني، لو عَلِمتُم ما حَمَلْتموني إليه.

فإذا فرغوا من دفنِه اْنضمَّ عليه القبرُ ضَمَّةً شديدةً تَتداخلُ منها عظامُه. وقَلَّ مَن يسلمُ مِن هذِه الضَّغْطَةِ، قال النبيُّ ﷺ: إن للقبرِ ضغطةً، لو نجا أَحَدٌ منها لنجا سعدُ بنُ معاذٍ، وقدِ اهْتزَّ لموتِهِ عرشُ الرحمٰنِ، ثم يَدخُلُ عليه مُنكَرٌ ونَكِيرٌ وهما مَلَكانِ أَسْوَدانِ كَلامُهما كالرعدِ القاصفِ... وأعيُنُهما كالبرق الخاطِفِ، بيدِ كُلٍّ واحدٍ منهما مَقْمَعةٌ من حديدٍ، لو ضُرِبَ بها الجبَلُ لَهدَّتْهُ، فيقولانِ له: مَن رَبُّك؟ وما دينُك؟ ومَن نَبيُّك؟ فمَنْ ثَبَّتَهُ الله.. قال: اللهُ ربِّي، ومحمدٌ نَبِيٍّ، والإسلامُ ديني؛ فيقول أَحدُهما للآخَرِ صدَقَ.. وقد كُفِيَ شَرَّنا، ثم يُوَسِّع اللهُ عليه قبرَهُ ويَصير له الترابُ كالماءِ حيثُ تَحَرَّك انفسَحَ، ويُفتَحُ له بابٌ إلى الجنةِ فيرىٰ منزلَه فيها، ويأتيهِ من رَوْحِها وطِيْبها، ويُتَصَوَّرُ له عملُه الصالحُ في أحسنِ صورةٍ ولا يزالُ معه يُحدِّثهُ ويُؤْنِسُه إلى يوم القيامِة، ويكونُ قبرُهُ روضةً من رياضِ الجنةِ.

وأما الشَّقيُّ فإذا سألهُ منكرٌ ونكيرٌ عن ربِّهِ وعن دينِه وعن نَبيِّهِ.. ذهَبَ عقلُه من الفزَعِ فيقولُ: لا أدري، وإن كان يعبد الشيطانَ، قال: ربُه الشيطانُ؛ فيَضرِبانِه ضربةً يَشتَعِل عليه قبرُه بها ناراً إلى يوم القيامةِ، ويُفتَح له بابٌ إلى جهنَّمَ ويَرَىٰ

مقعَدَهُ فيها، ثم يأتيه عملُه السوءُ في أقبحِ صورةٍ، فالظالمُ يتمثلُ له عملُه حيةً عظيمةً تنهشُه إلى يومِ القيامةِ. والنَّمامُ يَتمثَّلُ له عملُه كلباً يَعقِرُه إلى يومِ القيامةِ. . إلى غيرِ ذلك من الصُّوَرِ القبيحةِ المشابهة لما كان فيه من الطباع. وقاتلُ النفسِ لا يزال سِكِّينُه بيدِه يَقتُلُ نفسَه قتلةً بعد قتلةٍ إلى يومِ القيامةِ، ويكون قبرُه مِن حُفَرِ النارِ، ويومَ القيامةِ يَصيرُ إلى أشدِّ العذابِ.

قال ﷺ، القبرُ أولُ منزلٍ من منازلِ الآخِرةِ، فإن نجا منه صاحبُه فما بَعدَهُ أَيسَرُ منه، وإن لم يَنْجُ منه فما بَعدَهُ أشدُّ منه، فإن الميِّتَ إذا وُضِعَ في قبرِه. . حضَرَتْهُ أعمالُه الصالحةُ؛ فإن جاءَهُ العذابُ من جهةِ رأسِه ردَّهُ القرآنُ! وإن أتاهُ من جهةِ رِجلَيْهِ رَدَّتْهُ الصلاةُ! وإن جاءَهُ من جهةِ يَدَيْهِ رَدَّتْهُ الصَدَقَةُ؛ فيدافِعون عنه كما يدافِعُ عن الإنسانِ إخوانُه، فتقولُ له ملائكةُ العذابِ: نعمَ الأعوانُ الذين ادَّخَرْتَهم لنفسِك، ولو لم تُقَدِّمِ الخيرَ لحَلَّ بك العذابُ.

قال بعضُ الصالحين: رأيتُ بعضَ إخواني في اللهِ بعدَ موتِهِ فقال لي: لأن أقولَ الحمدُ لله أو غيرَها مِن ذِكْرِ اللهِ، أو أُصَلِّي ركعَتيْنِ أحبُّ إليَّ مِن الدُنيا وما فيها، فإنَّا لا نَقْدِرُ على العملِ وأنتم تَقْدِرون عليه ولا تَعمَلون.

بابٌ في القيامةِ

رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ: أنَّ الله سبحانُه وتعالى إذا أرادَ قيامَ الساعةِ صارتِ الجبالُ تتطايرُ وتَسِيرُ مثلَ السَحابِ، وتفجَّرتِ البحار، واختلطَ بعضُها ببعضٍ حتى تملأَ وجهَ الأرض، ثم سُجِرَت بنارِ جهنَّمَ فصارت سوداء مظلمةً، وانشقت السماءُ وذابت كما يذوبُ الرَّصاص، وصارَت تدورُ كما تدور الرَّحىٰ؛ وتزلزلتْ وصارتْ تَنقَبِضُ مرةً وتنبَسِطُ أخرىٰ، وصَعِقَ مَن في السمٰواتِ والأرض، وخَلَتِ السماءُ من سُكَّانِها، والأرضُ من عُمَّارِها، ويَبقىٰ وَجهُ ربِك ذو الجلال والإكرام، فيقولُ سبحانه وتعالى: أَيُّها الدنيا الدَنيَّة: أين أصحابُكِ؟ أين الذين أكَلوا رزقي، وأطاعوا غيري؟ أين الذين استعانوا بنعمتي على مَعصيتي؟لِمَنِ المُلْكُ اليوم؟ فلا يُجِيبُهُ أحد، فيُجِيبُ نفسَه بنفِسه سبحانَه وتعالىٰ ويقول: للِهِ الواحِدِ القهار، ثم يَخرُجُ لهبٌ من نارِ جهنَّمَ فيشتَمِلُ في البحارِ والجبال، فتَنشَفُ جميعُ البحارِ، وتصيرُ الجبالُ كالعِهْنِ المنفوشِ، فتَنسِفُها الرياحُ وتصيرُ الأرضُ كُلُّها قاعاً صفصفاً مِثلَ الراحَةِ، ثم يَمطُرُ من السماءِ ماءٌ، مثلُ مَنِيِّ الرجال مِن بَحرِ الحياةِ، فَتنْبُتُ منه أجسام الخلائقِ من عَظْمٍ صغيرٍ في

آخِرِ فَقرَةِ الظَهْرِ. يَبْلَىٰ كُلُّ شَيْء في الإنسانِ إلاَّ هوَ؛ فإن الإنسانَ يَنْبُتُ منه كما يَنْبُتُ الزرعُ مِن حَبِّ الطعام؛ فيصَيرونَ أجساماً تامةً بِلا أرواحٍ.. كُلاًّ منهم في موضِعه، فيَرُدُّ اللهُ على إسرافيلَ عليهِ السلامُ روحَهُ، ويَنْفُخُ في الصُّوْرِ فتذهَبَ كُلُّ نفسٍ إلى جَسَدِها بإذنِ اللهِ تعالى، ثم يُحشَرونَ إلى الموقِف وهم حفاةٌ عراةٌ، النساءُ مختلطاتٌ بالرجالِ، وكُلُّ أحَدٍ منهم مشغولٌ بنفسِه، وعَمَلُ كُلٍّ منهم مقارِنٌ له من خيرٍ أو شرٍّ، ويُحْشَرُ كُلُّ أحَدٍ منهم على ما ماتَ عليه، فعَن النبيِّ ﷺ. أنَّ شاربَ الخمرِ يُبعَثُ والكَأْسُ بيدِه أخبثَ مِن كُلِّ مَن مَرَّ عليه، وأنَّ مانِعَ الزكاةِ يُحْشَرُ وقد طَوَّقَ مالُهُ عُنُقَهُ حيةً عظيمةً تلسَعُه، وإِنَّ الزُناةَ يُحشَرون وقد عَظُمَتْ فروجُهم وسالَتْ بالقَيح والصديدِ، وأَن آكِلَ الربا يُحشَرُ وقد عَظُمَت بطنُه فيقومُ مرةً ويَسقُط أخرىٰ، ويُحشَرُ أهلُ الكَذِب والنميمةِ وقد خَرجَتْ ألسِنتُهم على صُدورهم أَقبَحَ ما يكونُ.. وهكذا كلُ مَن مات مُصِرّاً على ذنبهِ حُشِر مُعَذَّباً به حتى يُقضَىٰ بين الخلائِق في يوم كان مقدارُهُ ألفَ سنةٍ مما تَعُدُّون، فيَجمَعُ اللهُ الخلائقَ كُلَّهم الأوَّلينَ والآخِرينَ في موقِفٍ واحدٍ، ثم يَنزِلُ أَهلُ السماءِ الدُنيا فيَستَدِيرونَ بأَهلِ الأرض حَلْقةً واحدةً، فيكونونَ عَشْرَةَ أمثالِ أهلِ الأرضِ، ثم ينزلُ أَهلُ

السمٰواتِ السبع ويَستَديرُ أهلُ كُلٍّ سماءٍ حَلْقةً واحدةً بالذين قَبْلَهم ويَصِيرونَ مثلَ عَشْرَةِ أَمثالِ مَن قَبْلَهم، ثم تزدَحِمُ الخلائق كُلُّهم بعضُهم في بعضٍ، ويَختَلِطونَ، وتدنو الشمسُ من الرؤوس بحيث لو مَدَّ أَحدٌ منهم يَدَهُ لَنالَها، فعِندَ ذلك يَسيلُ العرَقُ حتى يخوضَ الناسُ فيه، فيجعلُه اللهُ على قَدْرِ الذنوبِ.. فمنهم مَن يَبلُغُ عَرَقُه إلى ساقَيهِ، ومنهم إلى رُكبتَيهِ، ومنهم مَن يبلُغُ عَرَقُه إلى فوق أُذُنَيهِ! وتلتهبُ الأكبادُ من شدةِ العطشِ، فمنَ كان قد ماتَ له طفلٌ سقاهُ من الجنةِ، وإنْ كان له صدقةٌ استظلَّ بها، ومَن كان له عملٌ صالح نفعَه يومَئِذٍ، ويومَ يموجُ الناسُ بعضُهم في بعضٍ ويَلْقَوْنَ من الشِدةِ والكَرْبِ ما يَتَمنَّى بعضُهم أن يُرفَعَ عنه ما هو فيهِ ولو إلى النارِ؛ فيذهَبونَ إلى آدم عليه السلامُ فيقولون له: إشفَعْ لنا إلى ربِّك مما نحنُ فيه؛ فيعتذرُ لهم من شدةِ غضبِ الله تعالى في ذلك اليومِ أيضاً ويقول: اذهبوا إلى نوحٍ عليه السلامُ؛ فيعتذرُ لهم؛ فيذهبون إلى إبراهيمَ عليه السلامُ فيعتذرُ لهم كذلك ويقول: إذهبوا إلى موسى عليه السلام، فيذهبون إليه فيعتذر لهم كذلك، ويقول: إذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيذهبون إليه فيعتذر لهم كذلك، ويقول: اذهبوا إلى سيِّدِ المُرسَلينَ وخاتِمِ النَبِيِّينَ

وحبيبِ ربِّ العالمين محمدٍ ﷺ الذي وعَدَهُ بالوسيلةِ والمقامِ المحمودِ؛ فيأتونَ عليهِ ﷺ وهو على مِنبَرٍ من نورٍ عن يمينِ عرشِ الرحمنِ؛ فيقولون له: يا رسول الله لم يَبْقَ لهذا الأمرِ غَيْرُك، وقد أحالَنا كُلُّ نَبيٍّ عليك فاشْفَعْ إلى اللهِ في فصلِ الحسابِ فيقول: نعم، أنا لها فيخرُّ ساجداً لله تعالى عز وجل، فيأتِيهِ النِّداءُ من عندِ الله تعالى. فيقول له: يا محمدُ ارفَعْ رأسَك واشفَعْ تُشَفَّعْ، فيقول: يا ربِّ أنت تعلَم، ما العبادُ فيه.. فافْصِلْ بينهم فقد افتَضَحَ كلُّ أحَدٍ بِذَنْبِهِ. فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: حُبًّا وكرامةً لك يا محمدُ. فتُوضَعُ الجنةُ عن يمينِ العرش. ثم يُؤتَىٰ بجهنَّمَ تقودُها الزبانيةُ بسبعين ألفِ سلسلةٍ، كلُّ سلسلةٍ، يَجرُّها سبعونَ ألفِ مَلَكٍ، كلُّ حَلْقةٍ من السلسلةِ لا يعلمُ عِظَمَها إلاّ اللهُ تعالى، فكُلُّ واحدٍ من الزبانية يأخذُ في قَبْضَةِ كَفِّهِ سبعينَ ألفِ رجُلٍ: فإذا أقبلتْ جهنَّمُ، سَمِعوا لها شهيقاً وهيَ تفور، فإذا قَرُبَت من أهِلِ الموقفِ اشتَدَّ غيظُها وزفيرُها على مِن عصَىٰ الله، فلا يَقْدِرُ الزبانيةُ على إمساكِها؛ فتَنفَلِتُ مِن أيديهم وتُقْبِلُ على أهلِ الموقف، فإذا رأوْها وقَعوا فيما لا يعلمُه إلاّ اللهُ من الخوفِ، ويومَئِذٍ يَفِرُّ المرءُ مِن أخيهِ، وأُمِه وأبيهِ، وصاحبَتِه وبنِيه. لكلِّ امرِىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنِيه، وتُهرَعُ

الأنبياء عليهِم السلامُ إلى النبيِّ ﷺ ويلوذونَ به؛ فيقومُ ﷺ ويأمُرُها أن تَرجِعَ، فتقول له: دَعني علىٰ مَن عصَىٰ رَبي. فيأتيها النداءُ من عندِ الله: يا جهنَّمُ اسمَعي وأطيعي الحبيبَ محمداً ﷺ فما أرسلناهُ إلاَّ رحمةً للعالمين، فتنقادُ حينئِذٍ إلى الزبانيةِ فيجعلونَها عن يسارِ العرشِ؛ ويوضَعُ الميزانُ فتوزَنُ الحسناتُ والسيئاتُ. ويَعرِفُ كلُّ أحَدٍ مقدارَ عمله مِن خيرٍ أو شرٍّ، فمَن رجَحَتْ حسناتُه فهوَ من المُفلِحينَ، ومَن خَفَّتْ حسناتُه فهوَ من الخاسِرين. ويُعطَىٰ كلُّ أحَدٍ منهم كتابَهُ إمَّا بيمينِه. وإمَّا بشِمالِه! فتجِدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلَتْ من خيرٍ أو شرٍّ مُحْضَراً من قليلٍ أو كثيرٍ، صغيرٍ أو كبير. فأصحابُ اليمينِ هم السُعداءُ، وأصحابُ الشِمالِ هم الأشقِياءُ. ثم يُحاسَبونَ على أفعالِهم وأقوالِهم، وأسرارِهم وضمائِرهم، ونيَّاتِهم وعقائِدهم، فمنهم مَن يحاسَبُ حِساباً يسيراً، ومنهم مَن يُحاسَبُ حِساباً عسيراً، ثم يُساقونَ إلى الصِراطِ وهو جَسْرٌ ممدودٌ على متنِ جهنَّمَ. . أَحَدُّ من السيفِ، وأدَقُّ من الشَعْرةِ. فتَثبُتُ عليهِ أقدامُ مَنِ استَقامَ في الدُنيا على الطاعةِ، وثَبَتَ عليها، وتَزِلُّ عنه أقدامُ مَنِ اتَّبعَ هواهُ في الدنيا، ومَالَ عن صراطِ الله المستقيم، فمن نجا صارَ إلى الجنةِ. وإلى ما أَعَدَّ اللهُ له فيها من النعيمِ المقيم. والفوزِ العظيم، ومَن زلَّتْ به قدمُه

وقعَ في نارِ جهنَّمَ! فالكافرُ يُخَلَّدُ في النارِ أبدَ الأبدِ، بحيثُ لو كانتِ الدُنيا من الأرضِ إلى السماءِ مملوءةً حَبَّ طعامٍ؛ وكان طيرٌ واحدٌ يأكُل في كلِّ مائةِ سنةٍ حبةً؛ لفرَغَ الحَبُّ ولا يَنقضي عذابُ أهِل النار، وأما عُصاةُ المؤمِنينَ فيُخرَجون من النارِ بعد العقوبةِ على قَدْرِ الذُنوبِ؛ حتى لا يبقىٰ في النار مَن في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ من إيمانٍ. وبعضُهم يُخرَجُ قبلَ تمام العقوبةِ بشفاعةِ الأنبياء والعلماءِ والشهداءِ والأولياءِ! نفعَ اللهُ بِهم آمين.

* * *

بابٌ في ذكرِ الجنةِ النارِ

قال رسولُ الله ﷺ إنَّ في جهنَّمَ سبعينَ ألفِ وادٍ.. في كلِّ وادٍ سبعونَ ألفِ شِعْبٍ. في كلِّ شِعْبٍ سبعونَ ألفِ ثعبانٍ، وسبعونَ ألفِ عقربٍ.. لا ينتهي عذابُ الفاجرِ حتى يواقِعَ ذلك كُلَّهُ! وإنَّ أدنىٰ أهلِ النارِ عذاباً يومَ القيامةِ مَن يُنْعَلُ بنعلَينِ من نارٍ، وإنَّ جهنَّمَ أُوقِدَ عليها ألفَ سنةٍ حتى احْمَرَّتْ. ثم أُوقد عليها ألفَ سنةٍ حتى ابْيَضَّتْ. ثم أُوقد عليها ألفَ سنةٍ حتى اسْوَدَّتْ! فهيَ سوداءُ مظلمةٌ، ولو أَنَّ قَطْرَةً من الزَّقُّوم طعامِ أهلِ النارِ قطرت في بحار الدُنيا لأَفْسَدَتْ على أهلِ الدُنيا معاشَهُم وإنَّ في النارِ لحياتٍ مثلَ أعناقِ البُخْتِ يَلْسَعْنَ اللسعة فتوجَدُ حُمَّتُها أربعينَ سنةً، ولو أنَّ شرارةً من شَرَرِ نارِ جهنَّمَ وقَعَتْ بالمشرِقِ؛ لَوُجِدَ حَرُّها بالمغربِ! وإنَّ نارَكم هذهِ جُزءٌ من سَبعِينَ جزءاً من نارِ جهنَّمَ، وإنَّ الحَجَرَ العظيمَ يُلْقَىٰ في جهنَّمَ فيَهوِي سبعينَ سنةً ما يُدْرِكُ لها قَعْراً، ولو أَنَّ رَجلاً من أهلِ النارِ خرَجَ إلى الدُنيا لماتَ أهلُ الدُنيا من وِحشةِ منظرِه ونَتْنِ ريحهِ؛ فإنَّ أهلَ النارِ ليبكونَ حتىٰ لو أُجْرِيَتِ السفنُ في دُموعِهم لجَرَتْ! وإنَّ أهلَ النارِ يَدْعونَ مالِكاً فيقولون: يا مالِكُ لِيَقْضِ علينا ربُّك؛ فلا يُجِيبُهم ألفَ

عامٍ ثم يقول: إنكم ماكثونَ، ثم يَدْعونَ ربَّهم فيقولون: ﴿ربَّنا غَلَبَتْ علينا شِقْوَتُنا وكُنَّا قوماً ضالِّينَ * ربَّنا أَخْرِجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنَّا ظالمونَ﴾ فلا يُجِيبهُم مِثْلَ مُدَّةِ الدُنيا منذُ خَلَقَهَا الله ثم يُجِيبُهم فيقولُ: ﴿اخسئوا فيها ولا تُكَلِّمونِ﴾، فعندَ ذلك يأخذونَ في الزَّفِيرِ والشهيقِ ودَعْوىٰ الويلِ والثُبورِ.

فَصْلٌ قال رسول الله ﷺ: إنَّ في الجنةِ غُرَفاً من الجوهَرِ يُرىٰ ظاهرُها من باطِنها، وباطِنُها من ظاهِرها، وفيها من النَّعِيم المُقيم ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خطرَ على قلبِ بَشَرٍ! وإنَّ حيطانَ الجنةِ لَبِنَةٌ من فضةٍ ولَبِنَةٌ من ذهَبٍ، وإنَّ تُرابَها المسكُ، وحَشِيشَها الزعفرانُ، وإنَّ أولَ زمرةٍ تَلِجُ الجنةَ صورتُهم على صورةِ القمَرِ ليلةَ البدرِ، لا يَبصُقونَ، ولا يَمْتَخِطونَ، ولا يَبولونَ ولا يتغَوَّطونَ.. آنِيتُهم من الذهِبِ، وأمشاطُهم من الذهَبِ.. يُطافُ على أحَدِهِم كلَّ يومٍ بسبعينَ صحفةً، كلُّ صحفةٍ فيها لَونٌ ليس في الأُخرَىٰ، ولو أنَّ امرَأةً من نساءِ أهلِ الجنةِ اطَّلَعَتْ على أهلِ الدُنيا لأضاءَ نورُها ما بينَ المشرقِ والمغربِ! ولَمَلأَتْ ما بينَهُما ريحاً، وإنَّ خمارَها على رأسِها خيرٌ من الدُنيا وما فيها، وإنَّ أدنَىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً، وأسفَلَهم درجةً، لَيَقومُ على رأسِه كلَّ

يومٍ عشْرَةُ آلافِ خادمٍ من الوِلْدانِ المُخلَّدينَ، بَيَدِ كُلِّ خادمٍ صحفةٌ مِن ذهَبٍ وصحفةٌ من فضةٍ. في كُلِّ واحِدَةٍ لونٌ ليس في الأخرىٰ، يأكلُ مِن آخِرِها مثلَ ما يأكُلُ من أوَّلِها. يَجِدُ لآخِرِها من اللَّذَّةِ مِثْلَ ما يَجِدُ لأوَّلِها! وإنَّ الرَجُلَ من أهلِ الجنةِ لَيَشتَهي الشرابَ من شرابِ الجنةِ. فيجيءُ الابريقُ فيَقَعُ في يَدِهِ فيشرَبُ منه. ثم يعودُ إلى مكانِهِ. وإنَّ أحدَهم ليُعْطَىٰ قوَّةَ مائةِ رجُلٍ في الأكلِ والشُربِ والجِماعِ، وإنَّ أحَدَهم لَيتزوَّجُ خَمْسَمِائةِ حوراءَ أبكاراً، لو أنَّ بعضَ كَفِّها بدا لَغَمَّ ضَوْؤُه ضوءَ الشمسِ والقمرِ. ولو أنَّ طاقةً من ذوائبِ شعرِها بَرَزَتْ لملأَ طِيْبُ رِيحها ما بينَ المشرقِ والمغربِ. ولو بَصَقَتْ في البحرِ لَعَذُبَ الماءُ من عُذوبَةِ رِيقِها. وصار أَحلَى من العسلِ، وإنَّ الرَجُلَ من أهلِ الجنةِ لَيَدْخُلُ على إحداهُنَّ فيجِدُها في غُرفةٍ من الياقوتِ. على سريرٍ من الذهَبِ مكلَّلٍ باللؤلؤ. عليها سبعونَ حُلةً من سُندُسٍ وإستَبْرَقٍ. وإذا وَضَعَ يَدَهُ على كَتِفَيْها رآها مِن خلفِ صَدْرِها. فبينما هو عندَها لا يَمَلُّها ولا تَمَلُّهُ. ولا يأتيها مرَّةً إلاَّ وعادت بِكراً من غيرِ أن يَفتُرَ هو ولا تتألمَ هِيَ! فبينما هوَ كذلك إذ نادَتْهُ حوريةٌ أخرىٰ، فتقول: إنَّا قد عَرَفْنا أَنك لا تَمَلُّ ولا تُمَلُّ، ولكن لك أزواجٌ غيرُها فأَعطِهِنَّ نَصِيبَهُنَّ

مِنك، فيَخرُجُ فيأتيهِنَّ واحدةً بعدَ واحدةٍ؛ كلمّا جاء واحدةً قالت: والله ما في الجنة عندِي أحسنُ منك، ولا شيءَ أَحَبُّ إليّ منك.

وقال ﷺ: إنَّ الجنةَ ليس فيها عجوزٌ، إن الله يُعِيدُهُنَّ أبكاراً عُرُبا أترابا، والنساءُ الآدميَّاتُ، أفضلُ من الحُورِ العِيْنِ بصَلاتِهِنَّ وصِيامِهِنَّ وعبادَتِهِنَّ، وإنَّ أزواجَ أهلِ الجنةِ ليُغنِّينَ لأزواجِهِنَّ بأحسنِ أصواتٍ لم يَسمَعِ الخلائقُ بمثلِها، يَقُلْنَ: نحنُ الخيِّراتُ الحسانُ، نحن الخالداتُ فلا نموت، ونحن الآمِناتُ فلا نخافُ أبداً، ونحن الناعماتُ فلا نَبْأَسُ، ونحن الراضياتُ فلا نسخَطُ، ونحن المقيماتُ فلا نَظعنُ، وطوبَىٰ لمن كان لنا وكُنَّا لَهُ، وإنَّ أهلَ الجنةِ لَيُلْهَمون التسبيحَ والتكبيرَ والتحميدَ، والثناءَ على الله سبحانَه وتعالى، كما يُلْهَمون النَفَسَ، وقال الله تعالى: ﴿دَعواهم فيها سُبحانك اللهُمَّ وتحِيَّتُهم فيها سلامٌ وآخِرُ دَعواهُم أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِينَ﴾ وصَلَّى الله على سيِّدِنا محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلَّم.

* * *

الفهرس